زينب الغزالي

من البرنيطة إلى الحجاب

شهرزاد العربي

بيت الحكمة

بســـــــم الله الرحمن الرحيـــــم

أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدخُلــوا الجَنَّةَ ولَمَّا يــأتِكم مَّثَلُ
الَّذيـنَ خَلَوْا مـن قَبـلِكُم مَّسَّتْهُمُ البـأسَاءُ والـضَّرَّآءُ
وَزُلزِلُوا حَتي يَقُولَ الـرسولُ والذيـنَ آمَنوا معـهُ متي
نصرُ اللهِ ألا إنَّ نصرَ اللهِ قريبٌ . صدق الله العظيم

شهرزاد العربى

زينب الغزالي

من البُرنيطة إلى الحجاب

مكتبة الحكمة

الطبعة الأولى

المحرم ١٤١٧ ، مايو ١٩٩٦

اسم الكتـــاب: زينب الغزالي . من البرنيطة إلى الحجاب

المؤلـــــف : شهرزاد العربي

رقم الإيداع : ٧٥٣٤ / ١٩٩٦

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 977 - 5271 - 58 - 4

النشـر والتوزيع : بيت الحكمة

للإعلام والنشر والتوزيع

العنوان: القاهرة . منشية الصدر

١٠١ شارع القائد

هـــاتف: ٢٨٣١٧١٢ ، ٢٨٣١٥٥٢

هاتف وفاكس: ٤٥٣٠٦٩٤

كلمة الناشر

برغم تأكيد الصحوة الإسلامية باختلاف مستوياتها ، على دور المرأة المسلمة ومشاركتها فى تحقيق غايات الأمة ، فإن الحس النسائى ظل غائباً تماماً ، غير آبه بكل الإرهاصات التى حاولت إخراج المرأة المسلمة من مملكتها الأولى ، محتفظة بوجدانها الإيمانى ، وفطرتها الربانية ، مدركة أن دورها الحقيقى هو بناء قواعد الأمة وتجذير انتمائها ، من خلال التفرغ التام للأسرة ، لا أن تكون لبنة فى بناء بلا قواعد ،يهدم عليها وعلى أبنائها.

وتطويراً لهذا الدور ، استطاعت حالات فردية ، أن توسع دائرة عطائها باستخدام القلم ، وكانت الأستاذة شهرزاد العربى ، واحدة من هذه الحالات المتميزة ، فقد حصلت عل دبلوم الدراسات العليا فى القانون الجنائى ، وعملت فى مجال الشئون الخارجية والعالم الإسلامى وقضايا المرأة ، بعدد من الصحف العربية.

وكان أول كتاب لها هو « البعد السياسى للحجاب » ثم جاء الثانى (مشترك) بعنوان « الجهاد والثورة الجزائرية » ، ثم الكتاب الثالث « الأمَة والسيد » ، أما كتابها الرابع الذى بين أيدينا وهو :

«زينب الغزالي من البرنيطة إلي الحجاب»

فهو نمط آخر غير سابقية ، تتنازل فيه شهرزاد العربى عن تمردها فى الكتاب الأول ، وتُقَلِّم أظافرها التى انغرست فى جسد بلدها

الجزائر غضباً منه وله فى كتابها الثانى (المشترك) ، وتغادر دائرة الصراع التى اقتحمتها فى كتابها الثالث ، لترسو هنا فى كتابها الرابع ، تلميذة وديعة هادئة ، تجلس بين يدى واحدة من معلمات الجيل ، ورمزاً للجهاد ، ومثالاً للأمومة ، وهى الحاجة زينب الغزالى .

> جلست شهرزاد للتلقى والاستماع ، وعندما أرادت التعليق ، كان ذلك بعيداً عن حلقة التعلم ، لكن هذه الوداعة ، وهذا الأدب الجم ، الذى مارسته شهرزاد مع معلمتها ، لم يخل أبداً من شهرزاد المتمردة ، ذات الأظافر ، المقتحمة دوائر الصراع ، فغاصت فى حياة المعلمة ، تستنطق الذاكرة ، وتحرك الأحداث الساكنة ، وتؤلب المواجع القديمة لكنها مع كل ذلك ، لم تفقد الأمل فى المستقبل .

لقد كتبت زينب الغزالى « أيام من حياتى » تحكى قصتها مع إرهاب النظام الناصرى ، كتبت فى الصحافة المصرية والعالمية من أجل بناء الأسرة المصرية ، لكنها كانت تبقى على كثير من الأسرار التى حملتها ، حتى بلغت الثامنة والسبعين من عمرها ، حينما اقتحمت عليها شهرزاد العربى خلوتها ، واستلبت منها وقتها ، وغاصت فى أعماق ماضيها ، تنبش فيه بحذر ، فكان هذا الكتاب غير الذى سبق ، وكان غير الذى يمكن أن يأتى بعده ، لأنه يحكى « زينب الغزالى من البرنيطة إلى الحجاب » .

أبو إسلام أحمد عبد الله

﴿الفهــرس﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

"بدايه اللقـــاء"

بسم الله الرحمن الـرحيم ، والصلاه والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم

وبعد ٠٠٠

تسـألنى السـيدة «شهر زاد الـعربى» عن قـصة حياتـي من تاريخ ميـلادي ، وأظنها تريـد أن تؤلف كتاباً في هذا الموضوع ٠٠ وأنا أشكرها لهذا الإهتمام الذي أعتز به ، ويسعدني أن أقـدم لها ما أستطيع من ذكريات علقت بذهنى – لهذا الـتاريخ الطويل والبعيد أيضا– وأنا الآن في سن الثامنة والسبعين ، فعلى قدر ما تمنحنى الذاكرة من عطاء بفضل الله سبحانه وتعالي أقوم بتلبية طلبها ، لأنه غالٍ وعزيز علَّى ٠٠"

زينب الغزالي الجبيلي

مقدمة

هذا الكتاب ليس وصفا للداعية المجاهدة «زينب الغزالى الجبيلى»، ولا دراسة لأفكارها، وإنما هو حوار طويل مع ذاكرة مليئة بالأحداث والمواقف المهمة احتاجت منى الى وقفات ووقفات، محاولة أن أنقله للقارىء كما جاء على لسانها ، ولذلك وضعت كل ما ذكرته الحاجة زينب بين قوسين، وإذا كانت أستاذتنا الفاضلة قد قبلت منى سبر غورها فذلك من كرمها وسعة صدرها، وعدم تعاليها على جيلنا كما عودتنا دائما. وأعلم القارىء أنه باستثناء هذه المقدمة، فإن كل ماورد فى الكتاب قد أطلعت عليه وأبدت موافقتها على صياغتى لأفكارها.

وللعلم فإن هذا الحوار الطويل الذى دام أكثر من سنة كان على فترات متقطعة، قضيتها فى قلق دائم وترقب مستمر .وكنت أنتظر الأوقات التى تكون فيها السيدة زينب على إستعداد للحوار، مع أنها

ماكانت ترفض لقائى حتى فى أوقاتها الصعبة، وفى بعض الأحيان تصر على ذلك، ويبدأ اللقاء ويستمر حتى تجد نفسها قد أرهقت فأحيانا تواصل متحدية الكبر، وأحيانا تتوقف مضطرة، أو أطلب أنا الاستئذان حياء من الإستمرارية فى الحوار..

ويأتى اهتمامى بحياة الحاجة زينب الغزالى ضمن نظرتى الخاصة لتأصيل الأفكار، ذلك لأنها إحدى النماذج التى يجب أن نوليها اهتماماً خاصاً لأمرين أثنين: أولا: لأن لها تجربة فى الدعوة فاقت الستين سنة، وثانيا: لأنها أول امرأة فى التاريخ الاسلامى المعاصر - فى حدود ما أعرف - تقوم بإنشاء تنظيم دعوى سياسى فى وقت كانت المرأة مبعدة من جميع مجالات الحياة وأقصد جماعة السيدات المسلمات، وثالثا: لأنها أول امرأة فيما أعلم تقوم بتفسير القرآن الكريم، وكل هذا يتطلب النظر اليها باعتبارها مدرسة على المستوى التنظيمى أو

العقائدى ممثلا فى حجها لعشرات من المرات وكذلك على مستوى التجربة الميدانية فى معاناة السجن، وفى زيارتها للعديد من الدول(*) أو حتى على مستوى التجربة الإعلامية ممثلة فى مجلة السيدات المسلمات التى أخذت من مالها وعمرها.

ولا أخفى على القارىء العزيز، بأن هذا الكتاب كان أمنية بالنسبة لى، وأحمد الله أنها تحققت، علّنا نؤدى بعضا مما علينا، لمن سبقونا ونروى للناس جانب من الجوانب المشرقة لحياة زينب الغزالى الجبيلى، علمته منها، ولو تأخر هذا الكتاب لسنوات وأطال الله فى عمرها لكان أكبر وأكثر ثراء. لكن بما أن الإنسان دائما على عجل، وأعتقد أنه القارىء الكريم مثلي، يود أن يعرف عن أهل الدعوة

(*) زارت الحاجة زينب الغزالى فى إطار الدعوة عدة دول منها : أفغانستان، باكستان، الجزائر، الامارات العربية، المملكة السعودية، السودان، إسبانيا، انجلترا، ألمانيا، أمريكا، ....الخ، ويبلغ مجموع الدول التى زارتها ١٧ دولة.

فقد سارعت الى نشر ما سمعته منها، وبالتأكيد للأخرين الحق فى نشر جوانب أخرى، خاصة الجوانب المفقوده التى تتعلق بنشاط جماعة السيدات المسلمات خلال عقود من الزمن ودورها في حل العديد من المشكلات.

وهذا الكتاب فى مجمله يتناول أربعة فصول الأول بعنوان « زنيب الغزالى أم نسيبه بنت كعب؟» وفيه يتعرف القارىء على الحياة الأسرية للحاجة زينب، منذ ولدت بعد أربعة ذكور، وما تعلمته من والدها من عزة نفس ورفض للظلم ودفاع عن الحق ثم مواجهة أخيها الأكبر بعد وفاة والدها ، عودتها الى الدراسة ثانية، وعودة الأمل اليها فى تحقيق حلم أبيها الذى كان يريدها أن تكون عالمة، وفى هذا الفصل تتضح نوعية العلاقات التى كانت بين أفراد أسرة عائلة الجبيلى ، وأيضا عقليه والدها عالم الأزهر الذى تجاوز عصره بمراحل.

وفى الفصــل الثانى، الذى هو بــعنوان « هدى شعــراوى وزينب الـغزالى، لـقاء وفراق فــى الحب» يتكلم عــن تلك العلاقة المجهولة بين زيـنب الغزالى وهدى شعــراوى، وعلى الصراع بـين رجال الأزهر والاتحاد الـنسائـي، الذى كانــت تدفــاع عنه زيــنب الغزالى . وتعتقد أنه تنظيم إسلامى، وفيه أيضا المعاناة التى عاشتها زينب وتخليها بعد ذلك عن تنظيم هدى شعراوى، وتعلق هذه الأخيرة بها، الى درجة الرهان عليها، ومحاولة أرسالها الى فرنسا لتعلم القانون لكن رؤيتها لوالدها فى الحلم حالت دون ذلك .

وفيه أيـضا تتكــلم الحاجة زيــنب عن خلــعها للبرنيطة ولبسها للــحجاب، وإنشاء جمعية السيدات المسلمــات، وتأكيدها على أن هدى شــعراوى كانت مؤمنه وتحــج وتدفع إيراد وقف عائـلتها لبيــت الله وعن اســتمرار العــلاقة بينــهما الى المــوت، وتروى خلفيات تلك العلاقــة ، فتبدو صورة هدى شعراوى

واضحة وليست كما تراها بعض الجمعيات النسوية الآن ،التى لا تعرف عن حياتها الا القليل النادر .

ويركز الفصل الثالث « السيدات المسلمات من المساجد الى القصر» على دور السيدات المسلمات ونشاطهن، واللقاء الأول بالإمام «حسن البنا» والاختلاف مع «الملك فاروق»، وهى جميعها معطيات روتها الحاجة زينب، وكأنها تعيشها الآن وتنهى الفصل بالكلام عن الملكة «فريدة» زوجة فاروق التى طلقها لأنها- فى نظر الحاجة- كانت امرأة صالحة .

وفى الفصل الرابع والأخير، تناولنا ثلاث قضايا أساسية: الأولى،هى البيعة للإمام واعتبارها مهرا للزواج، والقضية الثانية هى علاقتها بالأخوان المسلمين، والشخصيات السياسية مثل الملك عبد العزيز وإبنه سعود ثم الملك فيصل، وأيضا هوارى بومدين رئيس الجزائر، ومحمد ضياء الحق

رئيس باكستان، وكذلك تسرد علاقتها مع بعض المفكرين الجزائرين مثل: مالك بن نبى ، ومحمد بوسليماني الذى أغتيل فى الجزائر فى بداية ١٩٩٤ والقضية الثالثة هي: عشقها للقرآن وحبها له على طول حياتها، هذا دون أن تنسى الكلام عن صفة المرأة أو النساء الائى سيخلفنها فى كل بلد اسلامى.

والكتاب فى عمومه لحظات حب للحاجة زينب، وزمن للتعلم والإنطلاق نحو غد أرحب، وتكريس لتجربة دينية وإنسانية رائعة ورائدة بكل المقاييس، وقد أعطتنا الحاجة الكثير، من ذكريات عمرها كاشفة النقاب عن كثير من الجوانب الخلفية من حياتها وذكرياتها ، فإلى بناتها وأبنائها أتوجه بهذا العمل في كل بلد إسلامي، وإليها أقول : أحببت القرآن فأحبك الناس، وأحبوا أفكارك ، وترجمت كتبك لكل لغات الدنيا، بما يعنى حضورك الدائم إنك كلمة طيبة ،وأصلك ثابت وفروعك فى

كثير من دول العالم، وإننا مهما حاولنا أن نعطيك بعض حقك، لن نفيك، فالله يتقبل أعمالك.

أمى الفاضلة: وإن ماكتبته بعد كل فقرة من حوارى معك ماهو غيره محاولة بسيطة من تلميذة تحاول أن تكرمك وأنت على قيد الحياة، ولا تجد ما تملك من حطام الدنيا ، الا الكتابة فمن خلالها تحاول فأدعو الله سبحانه أن يتقبل منك ومنى خالصة لوجهه الكريم ·

والله من وراء القصد ·

شهر زاد العربى

القاهرة فى ١٥/ ٥/ ١٩٩٦

الفصل الأول

زينب الغزالي أم نسيبة بنت كعب ؟

* البنت " المدلله " بعد أربعة ذكور
* حضور " نسيبة بنت كعب " في زماننا
* " زينب " وتقشير البصل ·
* نسيبة لا تعلم في مدرسة النصارى
* موت الوالد والولي المتشدد ·
* مؤانسة عائشة التيمورية ·
* لحظات الحب والأمل ·

جلست أمامها كما يجلس طالب العلم بين يدىّ معلمه، وأقتربت منها، وأعتدلت هي في جلستها، واستعدت للأسئلة وكأنها لا تزال في مركز "السيدات المسلمات" الذي تعودت منذ عقود - إلقاء محاضراتها فيه، وربما أكثر من ذلك ، فقد إعتدلت لتدندن بالقرآن- كما سيأتي لاحقا - في مسجد «ابن طولون»، حيث تتوافد اليها الألوف من النساء .

وفي لحظة البداية ،كان هدفي الأساسي هو استرجاع أهم الذكريات،لقد عرف أغلبية المسلمين جوانب عديدة من حياتها ،خاصة أيامها في السجن لأنها طبعت في كتاب (١)، لكن - فيما أرى - لا أحد يعرف بداية تكوينها وكيف كانت نشأتها إلا القليل وحتى نشأتها إلاّ القليل، غير أنني وأنا أحاول ذلك تلعثمت وكأننى أقابلها لأول مرة،ذلك لأن

(١) نقصد كتاب : أيام في حياتي - زينب الغزالي ، دار الشروق - القاهرة ، وقد طبع ١٤ طبعه آخرها طبعة ١٩٩٥ . وترجم لعشرات اللغات آخرها اللغة الصينية .

لوصول إلى هـذا الحوار المطول، كان حلـما يراودني منذ سنـوات، وأحمد الله أنه يتحـقق الآن، ولكن، كيف أبدأ ؟

إن السـؤال يحمـل - غالباً - هـماً حضـارياً أو ثقافـيا، والحاجه زينب، حـين بدأت في عملـها كان هدفها أكبـر من البناء الحضاري أو الثقـافي للأمة أنه البناء العقائدى الذي يعمل على ترقية المرأة المسلمة،ثم يتجاوزها إلى إعادة الخلافـة الاسلاميه،ولم يكن هذا استنتاجـا من قراءات سابقة للحاجة زيـنب الغزالي، ولكـنه كـان من طول الحـوارات معهـا، وتعـددها، وأحيانا في جـلسات كان هدفها أساسا تحضـيرالأسئلة ومع ذلك كله نؤكد : الهدف السابق كان نتيجة وعي بالمرحلة، وقبل هذا من تـكون الحاجه زينب الغزالي؟

... هكذا بدأت لقائى معها ..

* البنت المدلله بعد أربع ذكور :

تبـتسم ، وفي عـينيـها وقار الأم، وفي مـلامح

وجهها آثار جـمال لسيدة فاضلة قاربت الـثمانين من عمرها،جمـال الدعوة وجمال العلم، وأيـضا الجمال الأنـثـوي، وتجيـيـب: " ولـدت في ٨ ربـيـع الأول ١٣٣٥ ، وكان مـيلادي يوافـق ٢ ينـاير ١٩١٧، ولا أعي من طفولتى إلا بعض المسـائل القليلة، من ذلك أن والدتى كـانت لا ترضع، وتسلـم أبنائها لمـرضعة ... وأنني كنت الخامسة بعد إخوه أربعة هم : سعد الدين على ، محمد ،عبد المنعم.

وأقاطعـها : هل تتذكريـن من مرحلة الطـفولة شيئا ؟ فترد : "لا أعى من طفـولتى شيئا ولكن كان أهم ما يسعدنى هو الوقوف الى جانب جدتي لأمى ، وأسجد وأركع معها ،وكنت أحـب هذه العملية جداً - رغم صـغر عقـلي - وأحـرص على وقـت صلاة جدتي ، وحين بلغت الرابعة من عمرى ، كنت بليغة اللـسان، وأفهـم كل مايـدور حولي، وكـان والدي يمسكنى دائما ،في يده".

فالحاجة " زينـب" نشأت منذ طفولتـها على جو العبادة ، وبدأت تنمو في رحاب الصلاة ، وحدد الله سبحانه وتعالى طريقها منذ بداية يناعتها، حتى غدت وهي لم تصل بعد إلى العام الرابع من عمرها منتظرة لجدتهـا في كل أوقات الصـلاة. وسيكون لـهذا أجر عظيم الأثر في تكوين شخصيتها، ولكن ألا أتذكرين أى موقف على الاطلاق ؟ سألتها بعد صمت .

« تقول هناك أمر تذكـرته الآن - لأنه تكرر ذكره عدة مرات مـن طرف والدي، فقد سمـعت والدي ، يحكى لإحدى عـماتي وتدعى رابعة - وكانـت تحبنى جداً وأنا كذلك - أنه رأى في نومـه أنه كان يحملنى في لفائـف بيضاء وأنا طفـلة صغيرة ما أزال رضـيعة ويسير بى فـي الطريق فوقعت من يديـه في بركة من الطين تسمى في الريف عندنا «المعجنة» وأخذه الرعب حين وقعت وأنكفأ على الطـريق يأخذنى فلم يجدنى فزاد فزعه، ورفع رأسه إلى الأمـام فوجد رجل طوله

خارق المألـوف والطبيـعة، وأنا بين يـديه ، فتعـجب والدي إذ كيف يـأخذني منه، وهو في صـورة بشدير غير مألوفـة من قبل، ولكن الرجل مـد يديه إلى أبي وصار خلفه، وكأنه قريب منه - بعد أن كان ذو طول شاهق - ثم قال لوالدى : خذ الـسيدة زينب ياغزالي ... إن لها لشـأنا في الاسلام، فأخذنـى منه، ولم يجـد في ثيابـي شيئـا من الطـين الذي وقعت فـيه، فاللفائـف بيضاء كما هي ، فقـال له أبي، ومن أنت ياسـيدي؟ فرد عـليه : أنـا جدها عـمر بن الخـطاب وانتهى الحلم عند ذلك "

وتضيف الحـاجه زينب وهي تعود بنـا لأكثر من سبـعين عاما مـضت: " ومن يومـها أمتلأ صـدر أبى حبا وإنشـراحا وسرورا بى، وكان يروى تـلك الرؤيا لأخواته البنات خصوصاً ، وكان لي عمات كثيرات، وكنا علي شيء من الدين والصلاح والتقى، وهذا ما عرفته منهن حين كبرت، ولقد سمعت هذه القصة من أبي كثيراً.

وهكذا نلاحظ ان إهتمام السيد الغزالي بابنته، لم يكن فقط لكونها بنتا تأتي بعدأربعة ذكور، ولكن أيضا لأنها ذات قيمه دينية إعتمادا على الرؤيا السابقة ونحن نعرف جميعا حبنا لسيدنا عمر بن الخطاب، ونحن لم نره، فما بالك لو رآه أحدنا في الحلم وأوصاه بالاهتمام والحفاظ على ابنائه لدورهم المستقبلى الذى سيكون لصالح الاسلام، وبهذا الفهم عاشت السيدة زينب الغزالي، ولكن هل لها جذور تمتد إلى الخليفة الفاروق عمر، من الناحية الواقعية؟

تؤكد الحاجة " زينب الغزالي " أن أصولها العائلية تعود من ناحية الأب إلى سيدنا عمر بن الخطاب ومن ناحية الأم إلى سيدنا الحسين بن علي – رضي الله عنهما"، ولهذا نجدها على طول حياتها تحاول التأكيد على هذا الانتماء ليس بالمفهوم القرابي الدموى ولكن بالمعنى العقائدي، وكانت ترى أن المسئولية مضاعفة، لأن الأصول العائلية يحق لها أن

تفتخر بها، ولكن كعمل، وبهذا عاشت - ومازال - تحت أمنيه إعادة الخلافة الاسلامية مـن جديد، ولم تقل يوما: لـقد كان أبائي، لكنها كانـت دائما تقول: بلا فخر ولكن بإعتزاز الانسان المؤمن : هأنذا ! وكيف لا وقد تربـت على ذلك منذ الـصغر، وفهمـت إنها أسما فقط "زينـب الغزالى" ولكنها إنتمـاء وتقمصا، وحتى كدور فى الحـياة ،هي نسيبة بنـت كعب، فمن أين نبع هذا الفهم وما خلفياته؟

* حضور نسيبة بنت كعب في زماننا

تقول الحاجة زينب وهى تعـود بذاكرتها إلى أكثر من سبعين سنه مضت: كان والدي يسألنى ما أسمك ؟ فأرد : إسم زينـب ياأبى، فيقول: إسـمك زينب، وكلن لقبلك نسيبه بـنت كعب المازنيه، فأقول : ومن هى نسيبه ياوالدي؟ فيرد إنها أمرأة كانت تحب رسول الله وتحمل سيفها وتقاتل عنه.[(١)]

(١) نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية الأنصارية وتكنى " بأم عمارة" من بنى النجار، صحابيه أشتهرت بالشجاعة؛ تعد من أبطال المعارك؛ ولما ظهر الاسلام أسلمت وشهدت بيعة العقبه وأحداً والحديبية وأبلت يوم" أحد" بلاء حسناً؛ وجرحت إثنتى عشرة جرحا بين طعنة رمح وضربة سيف، وكانت هى ممن ثبت مع رسول الله حين تراجع الناس.

وتتوقف الحاجة زينب لحظه عن الكلام وكأنها غابت في الماضي، حيث زمن الود والتربية من والدها. وما يترتب عن تحمسها المبكر لفعل" نسيبة بنت كعب" ،حيث واجهت والى الآن الواقع ومرارته ومع ذلك بقيت على عهدها لوالدها،ولرسالتها ودورها في الحياة.

هكذا إذن لم يكن التشبيه بتلك الصحابية الجليلة بالأمر السهل أو الهين، ولكنه كان يعنى الجهاد الذى عجز كثير من الرجال- أحيانا- عن تحمله، وبالتأكيد إن كل هذا دار بذهنها في لحظات نسيان الواقع غير أنها عادت لتواصل سرد ذكرياتها وهي طفلة فقالت: عندما أفهمنى والدي المقصود بتسميتي "نسيبة"،صنع لى سيفاً من الخشب وخط لي دائرة على الأرض بالطباشير وقال لي: قفي واضربي أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقف في وسط الدائرة، وأضرب بسيفى يميناً وشمالاً ومن الأمام، ومن الخلف، وكنت أظن- في طفولتى انذاك- أن هناك

خلقاً كثيراً اضربهم، وسألنى والدي كم قتلت من أعداء رسول الله وأعداء الإسلام أقول: قتلت واحداً. فيقول أضربي ثانيه: فأقول: إثنين ، ثلاثة أربعة ... إلخ، كانت هذه لعبتى المفضلة، والموجهة أيضا من طرف والدي، لأنه منعنى من اللعب باللعب الأخرى مع أندادي من أقاربي، قائلاً: أنت نسيبة بنت كعب المازنية التى عليها أن تقاتل أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

حين كانت تحدثنى عن هذه الذكرى، اندمجت مع بداية حياتها، وعرفت لماذا وقفت مدافعة عن الاسلام دائما، إنها تعايش عصرها بحضور شخصية نسيبة بنت كعب، فهي امتداد لها، وهذا يعنى أن رسالة المرأة المسلمةلا يحكمها. هذا الزمن أو ذاك ولا ترتبط بالأعراف والتقاليد، وحتى لايحاول بعض من الرجال شل حركتها كان عليها أن تواجه، لكن علينا- دائما- أن نعترف بأن للأب الدور الأساسي في

بناء شخصية ابنائه، وهكذا كان والد زينب الغزالي، وفي تصوري يعتبر شخصية فريدة مقارنة مع أمثاله في ذلك العصر، لأنه تجاوز قيود الريف وقيود التربية وحتى أساليب التعاليم السائدة، لقد كان فعلاً رجلاً عالماً سابقاً لعصره بمراحل، بل إنني لا أكون منحازة اذا ما اعتبرته شخصية متنورة لم تستطع قيادات كثيرة من الحركات الاسلاميه الوصول إليها، ذلك لأن هذه الأخيرة حاولت فى أحسن الظروف، إشراك المرأة في مجال النشاط الدعوي- وفي حدود ضيقة - تفادياً لأسئلة النساء في قضايا فقيمة بحتة وتتعلق أساساً بالمرأة، وأيضا سد الثغرات أمام التيارات فهى التى كانت تصف الإسلاميين بالرجعية والتخلف في الماضي وبالظالمية الآن، كل هذا سعى لإحداث التوازن داخل حركية تلك التنظيمات، ومع ذلك كله بقيت مكسورة الجناح، أما والد "زينب الغزالي"، فإنه أراد أن يجعل - وهو عالم أزهرى- من ابنتة قائدة

للـرجال، ولذلـك رباها منـذ الصغـر على الجـهاد، وإختار لها نموذج نسبية بنت كعب" فكانت كذلك ٠

وعاشت البنت زينب" في جو تملأه محبه رسول الله صـلى الله عـليه وآله وسـلم، وكره أعدائـه إلى درجة أنـها تـخيـلت وجـودهم عـلى أرض الـواقع وبحسّهـا المرهف- وهي صغيرة - كانـت تسارع الى قتالـهم وتفاعـلت مع مسألـة القيادة، فـي كل أطوار حياتها ٠

ولم تكن لعبه قتال أعـداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلـم هي اللعبة الوحيدة في بـداية حياتها وإن كانت لعبتـها المفضلة فما اللعبـة الأخرى؟ تجيبنا الحاجة زينب معتمدة على الذاكرة دائما :

" ٠٠٠ حين تقدمت في مرحلة الـطفولة نقلني والدي إلى لـعبة أخرى، إذْ صنـع لي سبعـة كراسي صغيرة من الخشب، وصار يْجلـس أبناء عماتي عليها ويقـول لي أنت ناظـرة المدرسة، وعـليك أن تقـومي

بعمـلية التـفتيش، وتـعطينـا رأيك في هذه المـدرسة فأقـول: إنها مـدرسة جيدة، وعـلى التـلاميذ حـفظ الحساب ومعرفة الإنشاء والإملاء، علماً بأنه هو الذي حفظني تـلك الكلمات" ، وهكذا نـلاحظ أن والدها يصر دائما عـلى أن تكون القائدة على مـستوى القول وعلى مســتوى الفعل أيضاً، بـدليل أنه يناديـها دائما بالسيدة زينب وبنسيبة بـنت كعب، ويفهمها دائماً بأن مهمـتها في الحياة الـدفاع عن دين الله، والجـهاد في سبيل الله، وليثبت في ذهنها القيم النبيلة كان يدخلها على الضيـوف ويقول لها :حيي ضيـوفك، فكانت تقول لهم :

"أهلا وسهلا ومرحباً   يامن بهم تم النظام"

أهلا بكم ، أهلا بكم ،أهل العلا وذوي المقام "

شرفتونا آنستونا   والقلب يهديكم السلام"

والملاحظ أن مثل هذا الأسلوب من الخطابة تعلمّة " البنت زينب " وهي لم تتجاوز ثلاث سنوات، فلا

عجب بعد ذلـك حين تكبر، وتصبح خطـيبة وداعية كبيرة، لقد علمها والدها كيفية إلقاء الشعر وعلمها فن الخطابة، ومخارج الحروف، والمد والوقف ... إلخ.

كان والدها يوجه لها العديد من الأسئلة، ويطالبها بالإجابة التـى حفَّظها لها ومن بين الأسئـلة التى كان يوجهها إليها، وهي محموله على الكتف ، من أنت ؟ فتجيبه :

" أنا الطبيب المهندس في نظام بيتها "

" أنا الطبيب الحاذق في تربية ابنائها ؛

بجانـب هذا فقد عـلّمها أن تـلقي السـلام على الرجال والنساء، وأن تكون تحيتـها دائماً السلام عليكم دون أيه عـبارة أخـرى إلى درجة، أن الـناس كـانوا يسألون مـا بها هذه الطفلـة الصغيرة؟ فتخـبر والدها باستفهامهم، فيرد عليها: إنهم يجهلون من أنت، إنك نسيبة بنت كعب المازنية .

هزني الشوق إلى طفولتها، وأنا أستمع إليها وخلتها وهى تتحدث أنها تعبر عن طفولتنا المفقودة ودعاء من القلب أن يربى أبنائنا فى جو كالذي عاشتة الحاجة زينب، ولكن هيهات أن يحصل ذلك الآن فهم يعيشون أصعب مرحلة تعيشها الأمة الإسلامية، وانها ، تنسحب وتتولى يوم الزحف حتى من قضاياها الكبرى ، والتداخل بين الإجرام والإرهاب من جهة والجهاد من جهة ثانية، وبين الجاهلية والعودة إلى الأصول، وبين ذكريات مجد لأمة مهمتها التبليغ ومجموعات من البشر تسعى لان تخطب ود الكل حتى لو كان ذلك على حساب إيمانها.

وأحببت أن أسمع منها أكثر عن تلك الطفولة الجميلة، فسألتها: وماذا حفظت من كلام والدك ؟ فقالت: الكثير لكن ذهنى الآن مشوشا بسبب وفاة

أخي[1] ،وما اتذكره ان كلماته كانت جميلة، وهو الذي ألفها وحفظها لي،وقد كان من علماء الأزهر أيضا، رفض أن يوظف في دينه واشتغل بالتجارة وتعلمت منه الكثير مثل: الصدق فى الكلام والجرأة في الحق، والشجاعة عند منازلة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم الشهادة زوراً والوقوف ضد الظلم، وان لا أبكى، لأن البكاء ضعف، ونشأت نشأة متحررة جعلت مني شجاعة منذ طفولتي ".

* زينب وتقشير البصل :

حين تستمتع الى الحاجة زينب ، تحس بأنها

(١) تقصد هنا أخاها عبد المنعم الغزالى الذى كان صحفيا فى الأهرام وأختلف مع السادات فلجأ الى العراق تسع سنوات، وعرف بكتاباته ودفاعه عن الطبقة العاملة ، وللعلم فإن للحاجة زينب خمسة أخوة رجال هم : سعد الدين ، على ،محمد،عبد المنعم، عبد الحكيم، وأربع أخوات هن : فاطمة،نازلى،حياة، حكمت.

أرتبطت منذ الصغر بوالدها، فهى مثلا قلما تذكر أمها، وحتى عندما يجيء ذكرها يكون ضمن السياق العام لسرد الأحداث . ومن بين ماتذكرت هى ذاك الموقف الذي جمع بين أمها وأبيها حول أسلوب تربيتها، فأمها «سكينة» تريدها أن تكون كبنات عصرها تتكون وتنتظر الزوج، وأبوها يريدها أن تكون ذات قائلة لمجتمع بأكمله، تقول الحاجة زنيب : « فى إحدى المرات - وحين كنت فى سن السابعة، أخذتنى أمى الى طباخ العائلة الذي كان إسمه « بدراوى» وقالت له : إذا تمكنت من تدريب زينب على أمور المطبخ. سأعطيك جنيه ذهباً، فمثلا إذا تعلمت كيفية تخريط البصل أعطيك جنيه ذهباً، وإذا تعلمت إعداد الطعام أعطيك أيضا جنيه ذهباً. وهكذا، وفرح الصباخ، وبدأ فى تعليمى ، .. وجاء والدى فى المساء وسأل أين السيدة زينب ؟! فقالوا له : أنها فى المطبخ ، وحين دخل ، وجدنى أمسك بصلة،

والطباخ يعلمني كيف أخرطها، فاغتاظ وسأل الطباخ: من الذى جاء بالسيدة زينب إلى هنا ؟! قال : أمها وقد طلبت منى تعليمها وأعطتني جنيه ذهباً فرد عليه والدى بغضب قائلاً: هذه آخر مرة أجدها فى المطبخ، وإن وجدتها ثانية سأرفدك، وخذ منى هذا المبلغ مقابل ألا تعلمها ، ثم أتجه أبى إلى أمى وقال لها: إياك أن تدخل السيدة زينب إلى المطبخ ثانية، فقالت له أمي : ستكبر وستتزوج لذلك علينا تدريبها من الآن حتى تحسن الطبخ لزوجها، فرد والدي بغضب: أنا لن أزوجها لرجل تطبخ له أو تقوم بأية أعمال أخرى، وإذا تقدم إليها رجل يريدها من أجل أعمال البيت والتى منها تقشير البصل فإننى سأرفضه، وأرجو ياسيدة «سكينة» ألا تتدخلي فى شؤونها ثانية، لأن هذا سيؤدي إلى التصادم بيننا ثم مسكنى من يدي وأعطاني السيف الخشبى وأمرني كالعادة بمقاتله أعداء الله ... » .

ويبدو أن والد زينب - رحمه الله - كان حاسماً في مواقفه، ومتحمساً جداً لإبنته، ربما أكثر من أبنائه الذكور، ولذلك كان موقفه مخالفاً لكل العائلة، بما في ذلك أقرب الناس إلى إبنته- أمها سكينة- وقد أثبتت الأيام فراسته، وتوقعاته . . ولنا أن نتصور رجلاً عربيا فى مجتمع محافظ - ويعنى - فى بداية القرن العشرين، يكسر حواجز القناعات الراسخة، ويتجاوز واقع المسلمات في عرف المجتمع آنذاك ويعود الى تجذير ثقافة أبنته ومواقفها من خلال العودة الى الينابيع، ومما لا شك فيه أن زينب الطفلة كانت تتحمل فوق طاقتها لولا أن الله سبحانه وتعالى رزقها بعقليه ناضجه، أكبر من سنها بكثير . . . إنها موهبة ربانية، وأحس بها والدها منذ ميلادها، وذلك بعد أن رأى سيدنا عمر بن الخطاب في نومه، كما ذكرت في البداية .

وحين وصلت زينب الغزالى الجبيلى - إلى السن

القانـونية لدخول المدرسـة، أدخلها والدهـا مع ست بنات من عائـلة الجبيلى الى المدرسة، وكـانت تسمى مدرسـة الأقباط، وكـان أول تعامل لـها مع المحـيط الخارجي، فـسعت الى تنفـيذ ما تربت علـيه، ووقع التصادم بينها وبين المدرسين .

* نسيبه لا تتعلم فى مدرسة النصارى :

تقول الحاجة زينب: « التحقـت في بداية تعليمى بمدرسة قبطية، وكان تعليمـها بالإنجليزية، وللعلم فإن قريتنا كان ثلاثه أرباع سكانـها أقباط والباقي مسلمون فحزنـت جداً لأننى التحـقت بهذه المدرسـة، ولحزني الشديـد وكراهيتى لهـا، صرت أحمل كل يـوم معي قطعة من الحديد، وأحفر بها تحت العمود الذي يحمل الجرس وبعد أيام تمكنت من إسقـاط العمود، فانقلبت المدرسة كلهـا، وجاء المعلمون وسألوا: مـن فعل هذا بالجرس؟ ثم أجمعوا أن هذا من فعل « زينب الغزالى» وبما أننى كـنت من بنات أعيـان البلد فلم يـضربونى

وأحضروا والدي، وحين وصل سألنى لماذا فعلت هذا يازينب ؟

وحين سألـها والدها لم يكـن يتوقع منهـا إجابة أكبر من سنها، وكل اعتقاده أن هذا من فعل الأطفال في مثل هـذا السن، لكن الأمر بـالنسبة لهـا لم يكن كذلك ... انها بنـتة طيبة من بيئة عقـائدية، لتأمل إجابتها فى ردها التالى :

« والدي، أنا نسيبة بنت كـعب المازنية أقاتل عن رسول الله، فكيف أتعلم فى مدرسة فيها الصليب ؟»

الإجابة كما يلاحظ القـارىء. كانت حجه على التناقض الذي وقع فيه والدها، تناقض منبعه تكوينها للدفاع عن الإسلام، وتعليمها تحت رايه الصليب وما كان على والدها إلا أن يعتذر عن فعل ابنتة للمدرسة ويدفع تكاليف الخسارة، ويـقول لها : أنت على حق ويحولها إلى مدرسة أخرى، تقول عنها الداعية زينب الغزالى مستعينه بذاكرتها :

« بعـد أن تركت مـدرسة « الأقـباط » أدخلـني والدي مدرسـة تابعة لوزارة المـعارف إسمهـا المدرسة الأولية، وسبب ذلك مشكلـة لكل العائلة، ذلك لأن جمـيع ابنـائها أصـروا علـى التحـويل إلى المـدرسة الجديدة- الإسلامية طبعا- مـتأثرين بموقفي ... لقد كانوا ثمانية ... وكان لهم ما أرادوا...».

لم يغير انتـقالها إلى مدرسة إسلامية فـي نشاطها شيئا، وعلـى عكس زميلاتها وزملائها فـبدل أن تنقل تقالـيد المدرسة الى الـبيت، نقلت تـقاليد البـيت إلى المدرسة، من ذلك ... تلقـين الأطفال - في سنها- كل العبارات الدينية التي حفظتها من والدها، بل إنها ذهبـت إلى أبعـد من ذلك حـين فرضت، وهـي في السـنة الاولى - إبـتدائي- نـظامـاً مخالـفا لما عـرفه التلاميـذ في المدرسة وكان ناظـر المدرسة يناقشـها فيه لتـغير منـه لكن لا فائـدة، لنتابـع ذلك في أقوالـها التالية:

« كنـت في تلك المـدرسةوأثناء فـترات الفسـحة «الراحة» أجمـع البنات والأولاد، فى الأمام الـبنات، وفـى الوراء الـذكـور، وأحفـظـهم مـا أعـرفه عـن الصحابيات الجليلات مثل سيدتنا عائشه ونسيبة٠٠الخ وأحدثهم أيضا عن الخلفـاء الراشدين: أبو بكر وعمر وعثـمان وعلـي ٠٠٠» غير تـرتيبـى لمواقع الـذكور والبنات لم يكن يلقي استحساناً من الناظر فيقول لي: ضعي الذكور فى الأمام والـبنات فى الوراء، فأرفض فيضحك الناظر من سلوكـي ويجتمع حولنا الأساتذة والإداريون لـيراقـبوا مـا أقوم بـه، وأنا كـلي نـشاط وحيوية وجدية ٠٠٠».

وأسأل الحاجة زينب الغزالى: « هل إجادتك للغة وفهمك لـلدين وقوتك علـى الخطابه لم تسـبب لك مشكلات مـع المدرسين، وأنت ما تزالين فـى المرحلة الإبتدائية؟

تجيبنا مباشرة ودون طـول انتظار: « مازلت أذكر

ذلك اليوم وأنا في المرحلة الإبتدائية . . حين تكلم أحد التلاميذ دون إستئذان من المدرس . ولم يعرف المدرس من المتكلم وحين سأل التلاميذ، قالوا له : بنات الجبيلية نسبة لعائلة الجبيلي». هن اللائي تحدثن فأوقفنا المدرس، وضرب كل واحدة منا عشرة مساطير، فبكت كل البنات ولم أبك، بل نظرت إليه بعد أن ضربني - بإسمتزار- وكأنني أقول له من تكون أنت حتى تضربني !

وسألني المدرس: لما تنظرين إلي هكذا؟ فقلت له باللغة العربية الفصحى: لأنك رجل غير عادل وقد أسأت إليّ . . . » فأمسكني من يدى وأخذني إلى الناظر وقال له : هذه البنت غير مؤدبة . . لقد ردّت علي، فسألني الناظر: لماذا فعلت هذا ياسيدة زينب ؟! فاحتج المدرس وصرخ: أتقول لها سيدة وهى لم ترد عليّ بأدب وقالت لي : أنت ظالم! » لكن الناظر لم يبال بما يقول : وسألنى ثانية لماذا فعلت هذا ياسيدة

زينب؟ فـقلت له : أنا أحـترم المدرس لأنه معـلمى، ولكنه ظالم، فأحـسسته ونبهته لظلمه فـسألنى ثانية: وكيف ظلمك ؟! قلت : بنات الجبيلي لم تتكلم ولا واحدة منـهن، إنما أتهمـن ظلماً، فضـرب كل واحدة منهن عشرة مساطير ، وأنا على عكس البنات لم أبك لأن الذي ضربنى ظالم ولـم يتحر الحقيقة ... فوجه الناظر بصره صوب المـدرس، وقال له: سنذهب هذا المساء إلـى والدها، فقلـت له: أنا سأحكـي لوالدى ماحصل.. وخرج المدرس، وخرجت »

لنتوقف أمام هذا المشهد من حياة الداعية الصغيرة « زينب الغزالى» ونتساءل: ما معنى أن تتكلم بنت لم يتجاوز عمرها ثمانية سنوات عن العدل؟، وكيف لها أن تعـرف الظـلم وتـواجه بـه الظـالم؟ إن الإجـابة ستتضح بـعد قليل أثناء الحوار الذي سـيدور في بيت والدها ، وهـى إجابة فى مـرحلتهـا الأولى، لكنـها ستنـمو وتتطور وتـكبر مع الأيـام، وستصبح مـسألة

مواجهة الظالمين هي لبّ القضايا التي تطرحها زينب الغزالي، إذ تثور ضد ظلم المرأة وضد تكبيلها بقيود سلطة الرجل، وبقيود الجهل، وبقيود الرقابة الذاتية الداخلية، كما تثور ضد الذهنيات المتخلفة في تعاملها مع مختلف القضايا التي تواجهها الأمة الإسلامية، وفي مرحلة ثالثة تواجه علماء الأزهر، بعداً أو قرباً قبولا أو رفضا، رغباً أو رهبا، وهي مرحلة خاصة بين سلطة الدين وسلطة المجتمع، وفي المرحلة الرابعة تواجه الظلم بالتمرد والثورة على الأنظمة الحاكمة، ويتجلي ذلك تجاه الملكة «فريدة» ويتجلي أكثر تجاه نظام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر٠٠ وفي كل مراحل الحياة تلك، كانت تنطلق من التربية الأسرية، لذلك بات من الضروري وحتى لا تأخذنا أدوار الحاجة، المرأة الراشدة والمجاهدة، العودة إلى نقاشها السابق حول مسألة الظلم ، فكيف دار الحديث في بيت والدها ٠

تقول الحاجة زينب :

« ... في مساء ذلك اليوم، جاءنا ناظر المدرسة والمدرس إلى البيت، وجلسا مع أبي وقال الناظر: ياشيخ الغزالي :ان إبنتك زينب شتمت المدرس اليوم ووصفته بالظالم،وجاءنى بها المدرس لأعاقبها لكننى لم أفعل، وفضلت أن ألتقى بكم برفقه معلمها، ونبلغكم بما حصل.. » فناداني والدي، وحين حضرت سألنى: لماذا أغضبت مدرسك ياسيدة زينب، وهو معلمك، وقد علمتك أن الذي يعلمك وجبت له عليك الطاعة والحب ؟ ...».

وتتوقف الحاجة لحظة، ونتوقف نحن معها أمام هذا السؤال، الذي يبين أسلوب التربية من رجل أزهري متفتح، وقد قيل الكثير عن علماء الأزهر، منه ماكان لهم، ومنه أيضا ما كان عليهم، وبالتأكيد إن السؤال الذي طرحه والد زينب على ابنتة يبين أسلوب الحوار، ويجعلنا نقترب أكثر من احترام تلك

المؤسسة الدينية والعلمية التى تخرج فيها كثير من العلماء الذي أثروا في مجري حياتنا- نحن المسلمين- وليتضح أكثر قيمة السؤال، لنعود إلى إجابة الطفلة زينب آنذاك، تصحو من غفوة اللحظة - الظاهرة أمامنا- والمتعمقة بالنسبة لها، وتواصل حديث ذكرياتها بقولها: « أجبت بجملة من الاستفسارات منها :ألم تعلمنى الصدق ياأبتاه؟ قال: نعم، ألم تعلمني الجرأة في الحق؟قال : بلي، ألم تقل لي عليك أن لا تشهدى ظلما، ولا تفعلى ظلما؟ قال : نعم، فقلت: ياوالدى إن المدرس ظلمنا ولم يتحر الحقيقة، فسألني كيف؟ قلت: لقد تحدث التلاميذ فى الفصل، وحين سألهم من الذي تحدث؟! قالوا: بنات الجبيلى هن اللائي تحدثن، ونحن لم نتكلم،وقد ضربنا إلى درجة أن أمى دلكت لي يداى حين عدت هذا المساء، وأنت تعرف يا أبى أننى لم أضرب في البيت إطلاقاً ، فرد علي: هو معلمك، ولن يضربك

بعد الآن، والآن عليك أن تعتذري له ...».

نظرت زينب البنت الصغيرة إلى والدها وضيفيه، وصمتت برهة، ثم ردت حسبما ذكرت « لا أعتذر له ياوالدي، لأنك علمتني أن الظالم يعتذر للمظلوم، وأنا مظلومة» ولكي يحتوى والدها الموقف، سارع إلى القول« أنا أعتذر نيابه عنها»، وقبلها من وجنتيها ويديها، ثم قال لها: أذهبي الآن لحفظ الدرس.....».

عندما انهت الحاجة زينب قصتها مع المدرس ضحكت ثم قالت: تخوننى الذاكرة فى أمور كثيرة، لذلك لا أعرف ماذا فعل والدي مع المدرس بعد ذلك....» ولم تستطع الحاجة إتمام حديثها لأنها تذكرت الأيام التى فقدت فيها والدها الذي كان يسعى ليجعل منها قائدة، وقبل أن نواصل معا السير، نقف قليلاً أمام أسلوب الحوار السابق الذي حدث بين ثلاثة من الرجال« الناظر والمدرس والوالد» وبين التلميذة

الصغيرة زينب، فهو كما يلاحظ القارىء يبين مستوى عال من الفهم للبنت الصغيرة زينب هذا أولاً، وثانياً يطرح مسأله النظام التربوى العربى من منطلق إسلامى فالعلاقة بين الصغير والكبير فى الموقف السابق خضعت لقيم الدين ،وحين يربى الأبناء على معرفة القيم الجمالية بالتأكيد يصبحون جيلا صالحاً فى المستقبل، مهمته تحقيق سياسة التوحيد فى الأرض ولهذا وجب التأكيد على أن التمايز بين الذكر والأنثى فى التربية يؤدى الى نتائج سلبية كما أن الإهتمام بهما معا يعطينا جيلا صالحاً، ولا معنى لمجتمع يربى الرجال ويعلمهم، ويترك النساء في متاهات الجهل والتخلف ،فالفرص يجب أن تتساوى لأننا لا ندري أيا منهما -البنت أو الولد- يكون أكثر نفعا للوالدين وللمجتمع وللأمة. وها نحن نرى ماذا أعطتنا تربية السيد الغزالي لابنته زينب؟! وها هى الثمار التى نجنيها الآن من التربية الإسلامية، والأمر لا يتعلق

بشهرة الحاجة زينب ولكن يتعلق أساسا بمفهوم المرأة الطاهرة قولاً وفعلا، لهذا تمنيت وأنا أنقل هذه الصور الحية عن أمنا العزيزة زينب الغزالي أن يكون كل القراء معى .

* موت الوالد والولى المتشدد :

لم تدم فرحة «زينب طويلاً» لأن والدها حاميها وراعيها، توفي وعمرها لم يتجاوز عشر سنوات، وأحست بضياع أحلامها وأمانيها، وتذكرت ماكان يقول لها والدها من ذلك :« زينب سأرسلك إلى فرنسا لتتعلمى القانون (الحقوق) وحين تعودين إلى مصر سأجعل العلماء، وأنا معهم يعلمونك الشريعة الإسلامية...» وتتوقف الحاجة زينب لحظة ثم تواصل حديثها:«.. ولم أكن أعرف وقتها هل كان جاداً في أقواله أو ليحمسنى من أجل النجاح؟ لكن كان همى الوحيد تحقيق أحلام والدى ، أى كيف أكون محامية تدافع عن الإسلام وأحمل سيفى وأقاتل

من أجل إعلاء كلمة الله وأعمل على إعادة الخلافة الإسلامية ٠٠٠٠» ٠

وهذه الأسئلة جميعها كانت تتطلب إجابات حاسمة، ولا بد أن تكون أفعالاً، ولكن كيف يتسنى لها ذلك، وقد مات والدها- المتحمس لها- وعمرها لم يتجاوز عشر سنوات؟ فهل استسلمت للواقع الجديد٠ أم جاهدت وحاربت من أجل التغيير؟ لنعد ثانية إلى الحاجة زينب وهي تسترجع ماعلق بالذاكرة٠

« بعد وفاة والدي انتقلت بنا أمي إلى القاهرة، لأن أخوىّ الكبيرين كانا هناك وقد تنازلت والدتي عن الوصاية لأكبرهما ،وكان لهذا الأخ نظرته الخاصة ٠ عنى ، فهو يرانى جريئة ويقول صراحة: إن زينب قد علمها والدي الجرأة، وعلمها أن لا تسمع إلا لصوتها ولعقلها، ولذلك فأنا لا أوافق على إتمام تعليمها مادمت وليها ويكفى بما تعلمت في مدارس القرية»

هاهى السيدة زينب - كما سماها والدها- تواجه

أول موقف فـي حياتها، يحـاول وليها إرجاعـها إلى البيت وإلغاء دورها الاجتمـاعى، وهو موقف يخالف أحلام والدها ويـخالف أحلامها أيـضا، ثم إن الذي يواجهها هـنا هو أخوها الأكبر وولي أمـرها، وكيف تسمح له بذلك وقد وقفت وهى تلميذة ضد مدرسها لأنها أحسـت بظلمه، وقبـلها رفضت أن تتـعلم في مدرسة قبطية، وحطمت عمود الجرس٠٠ فالأمر هنا في غاية الـصعوبة، وهى فيه الـطرف الأضعف، لأن الصدر الحنـون الذي كانت تلجـأ اليها قد خطـفته يد المنون، وهو كان أيضاً الدرع الـواقي لها من ضربات التقـاليد والجهـالة والتخـلف٠٠٠ ما العـمل إذن ؟! يمكنـنـا اعطاء حكم الآن، لأننا سـنـنطلق فى الـنتائج لمعرفة المقدمات، وهاهى « زينب الغزالي» ماثله أمامنا عالمه داعية تحاورنا لكن لنعد ثانية في ذكريات الماضي ونسير مع زينب التلميـذة وهي تصارع من أجل بقائها مشاركة في بناء الحضارة ولنا أن نتحمس لها هنا من

منطـلق أن الخير مـهما واجهـته من صعـوبات، فإن نتائجه وإن كنا نراها أحـيانا شرا فهي غير ذلك، لأن الخير والشر نعرفهما- غالبا- في الظاهر، وفى مواقف محدودة، لكن لا نـعرفهما دائما لأننا لو نـعلم مافي الغيب، سنحتار بكل تأكيد الواقع ... وقد كان واقع «السيدة زينب» أنذاك هو المواجهه، فكيف واجهت؟

حين سألتها هذا السـؤال ، كيف واجهت موقف أخيك؟ تغيرت نبرات صوتها وظهرت ملامح الغضب عليـها ، ليس مـن السؤال كمـا يخيل إلـى القارىء ولكن من زمن المـوقف، وهو ماض أليم بالنـسبة لها وقالت :

« لم أكن راضـية عن موقف أخـي الأكبر، وإن كانت والدتي تقول عليك بإطاعة أوامره لأنه في مكان والدك، فـأرد عليـها بقـولي : ليـس بديلاً عـن أبى أبداً. لأن أبى كان رجلاً عظيماً، وأخـي يحول بينى وبـين ما أراده لـي والـدي - رحمـه الـله - والـذى

ساعدني على الاستمرار فـي موقفي هو مساندة أخي «علـي» لي، وهـو الأخ الثانـي بعد الأكـبر وكـانت قناعته هـي أنني حين أتعلم أعتـدل في أفكاري وفي رؤيتي للأشياء والناس ...» .

هكذا إذن لـم تكن وحيدة، أنـحاز اليهـا أخوها «علي» ووقف معها في مواجهة أخيهما الأكبر، وحين لم تفلح المـواجهة في بداياتها لجأت إلى كـتابة بعض الخواطر ضد أخيـها، وكانت تقرأ عليه فيـمزقها وهو يضحك، ومن بين ما تتذكـره الحاجة هذه لفقرة التي تقول فيها « أبتليت بولـي أمر جاهل، يفرق بين الفتاة وبين الصـبي، وأنا نسيـبة بنت كـعب المازنية لـقبي، أدافع عـن رسول اللـه صلى الـله علـيه وآله وسـلم بسيـفي وأجاهد مـن أجل الاسلام لتـعلو رايتـه وهو يقاتلني، فماذا أفعل، وقد جعله الله ولي أمري» .

واستمرت الـسيدة زينب في مـوقفها المتمـثل في الدفاع عـن الحق، وذهبت إلـى أبعد من ذلـك حين

قالت لأخيـها الأكبر، أنت جاهلي دون أن تـبالي برد فعله ،لكـن رغم هذا فهى لا تعاند القدر كـما تفعل كثيرات وكثيرون منا فـى حالة الحزن والمصائب، وإنما تلجأ إلى الـله معلنة بأن هذا ولـي أمرها، وبأدب فى الكتـابة يعبـر عن مستوى عـال من النضـج والوعى مقارنة بجيلها انذاك، وأيضاً مقارنة حتى بالزمن الذى عاشت فيه، وبنظرة المجتمع الى المرأة ٠

ويقـدر تشددهـا تجاه أخيهـا الأكبر بـقدر حبـها لأخيها «علي» الذي روت لي مـا كتبه عنه في إحدي المرات « ٠٠٠ أما «عـلي» فهو جـميل فى صـورته، جميـل في فكرته وفـي رأيه،يكافـح من أجل أن أُتم تعليمى، وأصبح راية للعلم»٠

وأسأل الحـاجة زينـب: لماذا كـان موقف أخـيك ضدك على هـذا النحو؟، فتجيـبنى والابتسامـه تعلو محياها :

٠ «موقف أخي يمكن معرفته من أحاديثه لأمي الذي

كان يقول لها دائما : إن زينب عـندما تكبر فهى التى ستتحكم فينا، ولذلك أعـمل على كسر أنفها من الآن ولا يخفى علـيك أنها متعصبة لـرأيها . . . . » ولكن من كان أنيسها فى وحدتها؟!

* مؤانسة عائشة التيمورية :

كانت الفـتاة زينب تقضـى جل وقتها في كـتابة الخواطر، لأنهـا لا تملك سبيلاً آخر للحـركة، وأحبت كثيراً المطالعة، لذلك أقتنى لها أخوها «علي » العديد من الـكتب فمـلئت عـليها حـياتهـا، وآنستهـا في وحدتها، لكـن لم تقبل بها كبـديل عن المدرسة لأن حبهـا للتعـليم كان فوق كـل تصور، ولا تتـذكر من الكتب الـتى طلعتها إلا كتـاباً واحداً، للكاتبـة عائشة التيمورية(*)، وحتى هذا الكتاب نسيت عنوانه .

(*) عائسة الـتيـموريـة(١٢٥٦-١٣٢٠)(١٨٤٠-١٩٠٢)، واسمـها الأصلى عـائشة عصمة بـنت إسماعيـل باشا ابن محمـد كاشف تيمور ، شاعرة وأديبة من نوابغ مصر، كانت تنظم الشعر ==

تقول الحاجة زينب : « . . . كان أخي " علي " يشترى لـي بين الحين والآخر كتابـا- وفي أحد الأيام أحضـر لي كتـاباً حول المـرأة لكاتـبة تسـمى عائـشة التيـمورية . . . وقد حفـظت من هذا الكـتاب الذى ضاع منـى بعض مقاطع شـعرية،لم أنسـاها إلى الآن وهي تتحدث عن النخلة حيث قالت :

أراك وحيدة مثلي فى الصحراء

ياليت لي صبرا كصبرك أو منى كمناك

== بالعـربي وبالتركـية وبالفارسـية، مولدهـا ووفاتها في الـقاهرة، تزوجت بمحمد توفيق بك الاسلامبولى وانتقلت معه الى الإستانه سنة ١٢٧١هـ، وتوفي والدها فـي ١٢٨٩هـ،وبعده توفى زوجها في ١٢٩٢هـ، وعادت الى مصر، فعـكفت على الأدب،ونشرت مقالات فى الصـحف، وعلت شهرتها ولها عـدة دواوين منها « حلبـة الطراز» وهو ديوان شـعرها بالعربـية، وتتابع الأهـالى في الأدب وكشوفه وهو ديوان شـعرها التركى، وللعلم فـهي شقيقة أحمد تيمور باشا.

لازلت واهبة لتمرك ماذاقوه

مدحوك بعد ثناء أو أعلم سرهناك (*)

رددت الحاجة زينب بيتي عائشة التيمورية عدة مرات، وبما أنها تعيد ذكريات أكثر من ستين سنة فقد تلعثمت أكثر من مرة وتعذر عليها ترتيبها أو ذكر غيرها، لكن المؤكد أن تلك الأبيات كانت تعبر عن الحالة النفسية للسيدة زينب آنذاك وهى تواجه أخاها الأكبر فى مسألة جوهرية تتعلق بمستقبل حياتها، ولهذا يتوجب العودة ثانية الى مسأله تعليمها .

(*) البيتان أعتمدت فيهما الحاجة زينب على الذاكرة، ونلاحظ فيهما عدم التناسق فى ترتيبهما وكان علينا العودة الى مؤلفات عائشة التيمورية ، لكن ظروف جمة حالت دون ذلك، ناهيك عن الذي يهمنا أساسا هو إهتمامات الحاجة زينب ومطالعاتها، وقد تبين أنها منذ الصغر ميالة الى الانتاج النسوى، ولذلك ركزت كثيرا فى مجلتها التى كانت ترأس تحريرها وتصدر عن مركز السيدات المسلمات عن الصحابيات الجليلات اللاتى كان لهن دورا فى تحريك أحداث التاريخ .

* لحظات الحب والأمل :

كان الأخ الأكبر - سعد الدين - للسيدة زينب يحتاط لمواقفها اللاحقة ويعرف النتيجة مسبقا، فليست هناك أية قوة بشرية يمكن أن تجبرها على الرجوع عن مواقفها، وكانت هى - زينب الغزالى - تترقب الفرصة فقط،ويهزها الشوق دائماً الى الدراسة، وحين يتحرك داخلها هذا الشوق تقتله بالكلمات، لكن ماذا تفعل حين تخرج يوما من البيت - بحي شبرا- وتسير في الطريق الذي يقع فيه بيت عائلتها فتجد مدرسة خاصة بالبنات. هاهى تقف تتأمل ماهو مكتوب على اللوح الخارجى للمدرسة، فيعود إليها الأمل، وتحركها أحلام والدها، وتطرق باب المدرسة، فيفتح الباب، ويسألها البواب ماذا تريدين؟ فترد: جئت لمقابلة مدير المدرسة، ويسألها: لماذا؟ فتجيب ثانية وهي واثقة من نفسها: لدي موعد معه، فيسألها البواب ثانية: من أنت حتى أبلغه بالإسم؟! فتجيبه: قل له السيدة زينب

الغزالى الجبيـلى، الشهيرة بنسيبة بنـت كعب المازنية، ويعود البواب اليها قائـلا: تفضلي، وحين تقف أمام المدير تبدأه بالسلام. وتروى تفاصيل قصتها كما يلى:

« .. حين دخـلت الـى مكـتب المـدير بـادرته بالسلام، قائـله : السلام عليكم ورحمه الـله وبركاته فيرد علي: وعـليكم السلام ورحمة الـله ، وواصلت حديثي بعدها مبصره اليـه: أنا السيدة زينب الغزالي ولقبى نسيبة بنت كعب فنظر إلي وكأنه يتصور أن بي مساً من الجن. وسألنى ماذا تريدين يانسيبة أو ياسيدة زينب ؟! قلت له: أريد أن أقص عـليك قصتي فربما تساعدني فى أمري. فنظـر إلي ثم قال لي : تفضلى بالجلوس علـى هذا الكرسي، وكان عليـه وقار كبير، وحين جلست قلت له: أن صورتـك وهيبتك تذكرني بأبي، لأنه كان عالما حاصلا على العالمية من الأزهر، وكان يحبنـى كثيرا، فرد علي: إن شاء الـله أنا أيضا أحبك، فقلت له: وأنا أحـبك في الله، وأضفت هل

أحكـى لك ما أريـد منـك ؟! قال: أحك ، فـبدأت أسرد حكايتى :

« . . . أريد أن أكون طـالبة في هـذه المدرسة، فسألنى وكم عمرك؟ قلت له في حدود الثانية عشر أو أقل من ذلك، فسألنـى مرة أخرى: وأين ولي أمرك؟ فقـلت لـه : إن ولي أمرى، جـاهلـي النـزعة، لأن والدى كان يريـدنى أن أحصل على الشـهادة لأصبح محـامية وأدافـع عن الاسلام، لـكن والدي تـوفي، وجئت إلى القاهرة، وقاطعنى المدير ليسألنى عن إسم قريتى وعائلتى، وحين ذكرت إسم قريتى وعائلتى قال لي : إن جدك تاجر الأقطان،ووالدك العالم الأزهرى كلاهما معـروف، ولكن ماذا تريدين منـي بالضبط؟! قلت : أن تلحقنى بمدرستك هذه دون أن تطلب ولي أمري للحضور، لأننى كـما ذكرت سابقا. ولي أمري جاهلي النزعة، ولا يريـدونى أن أتعلم، ولي أخ أقل منه، آتيـك به لإن فكره مستـنير، وقاطعنـى بسؤاله:

ماهو عمل أخوك الأكبر، قلت: مهندس، فقال لي : طيب، سأعطيك الآن هذه الهدية، وهي علبة طباشير وقلمين ومسطرة ... ألخ وأرجو أن يحضر أخوك المؤيد لك - يقصد أخى علي - وامتحننى لحظتها، وسجلنى فى السنة الثالثة إعدادى... وحين عدت إلى البيت سألتنى أمي: ماهذا؟ قلت لها: هذه هدية من مدير المدرسة التى التحقت بها....».

قالت لي أمي : أتعودين إلى المدرسة دون إذن أخيك؟ فرددت : أمي أرجوك أن لا تتحدثين إلي الآن.

وحين عاد أخى علي فى المساء قالت له أمي : إسأل زينب من أين أحضرت الأدوات التى معها، فسألنى: فأجبته بما فعلت حين ذهبت الى المدرسة، وأحتار أخى فى جراتي، وأستغرب في قدرتي على مقابلة مدير المدرسة .

وأقنع "على" اخى سعدا بالذهاب معنا، وحين

دهبا ثلاثتنا فى اليوم التالى استقبلنا مدير المدرسة، وكان أخي سعد قد ذهب معنا بنيه إبعادي عن المدرسة، ولذلك طلب من المدير إقناعي بالعوده إلي البيت، لكن المدير رد عليه: إنها خسارة كبيرة لو أبقيتموها فى البيت، وبعد طول نقاش اقتنع أخي الأكبر بدخولي إلى المدرسة، وبعد شهرين طلبت اجراء امتحان لي، وحصلت على الدرجات النهائية في كل المواد، وبذلك الحقنى المدير بالفصل التالى فصرت في السنة الرابعة، وحصلت على الابتدائية وانتقلت الى الأولى ثانوي، لكن في هذه الأثناء انتقلت عائلتى الى شقة أخرى بحيى المنيرة عند قصر العينى في مكان يسمى « جنيه يميش- ولم أكن أحسن الذهاب الى شبرا .....».

واستمرت السيدة زينب في تلك المدرسة، حتي طالعت - يوما - فى الصحف أن السيدة هدى شعراوى سترسل بعثه إلى فرنسا مكونة فى ثلاث

فتيات واحدة منهن ستدرس الحقوق..

وعاد إليها حلمها القديم حلم والدها، وسارعت إلى الاتصال بالسيدة هدى شعراوى، ومنذ ذلك اليوم خطت السيدة زينب فى طريق الحياة السياسية وتعرفت فى البداية بهدى شعراوى،ثم أستقلت بجمعيتها وهو ما سوف تناولة فى الفصل القادم .

الفصل الثانى

هدى شعراوى وزينب الغزالى

لقاء وفراق فى الحب

* زينب الغزالى فى حضن هدى شعراوى
* الرؤيا وتغير حياة زينب ·
* أنا لها ، أنا لها ·
* رفض بنوة هدى شعراوى ·
* · · وكادت أن تصبح رابعة العدوية ·
* « زينب » من البرنيطة الى الحجاب ·
* فى الحج هدى تشكو لزينب همومها ·
* المحبة و سكرات الموت ·

كان مالك بن نبى - رحمه الله - يقول : أن أعداء الأمة الاسلامية حين يلحظون بزوغ فكرة نيرة من عالم مسلم يأخذونها ويدافعون عنها، ويعطوها بعداً آخر وهكذا يتهم المفكر المسلم بعمالته للأعداء، ويبدو ان هذا النهج ساد - ومايزال- داخل المجتمعات الاسلامية اذ يتبنى فريق أفكار فريق آخر وينطبق هذا الأسلوب على الأفراد أيضا، ولنا فى دخول زينب الغزالى الى تنظيم الاتحاد النسائى بقيادة هدى شعراوى خير دليل على ما نقول.

فهدى شعراوى وحسب شهادة - الحاجة زينب- وإن بدت متدينة إلا أن دعوتها من بداية ظهورها كانت تحمل أفكارا علمانية وعُدت من ذلك الوقت رمزا كبيرا لذاك التيار . وظهرت كصاحبة دعوة وقضية ومشاركه فى بناء الحضارة محاولين جعل مسعاها الى تغيير الأمة عبر ألغاء الدين من الحياة هو ناصية التقدم لذلك واجهها الأزهر بكل قوة منذ بداية دعوتها.

ومع ذلك كله فعلينـا أن نفرق هنا بين دعوة هدى شعـراوى الظـاهرة والتـى دعت بهـا جهـاراً ، وبين أخلاقياتها والتزامها الشخـصى بالدين، فالأولى تهمنا نحن القراء البعيدين عنها ، أما الثانية فهى تهم الحاجة زينب وقد أعتـمدت عليها فى اعطـاء صورة واضحة عن هدى شعراوى ذلك أنها عـاهدتها على قول الحق وعدم الحاقها بالذم ما بقيت على قيد الحياة .

ولا شك أن الـعلاقة بين زيـنب الغزالـى، وهدى شعراوى تتطلب وقفة خاصة، وها أنا أحاول ذلك من خلال الشهادات الحـية لزينب الغزالى، والـتى ذكرتها بكل خير، فكيف كانت بداية اللقاء؟ والى أين أنتهى؟ تقول الحاجة زينب:

« ... وفى إحدى الأيام طالعت فى الصحف أن هنـاك بعثة سـترسل إلـى فرنسـا، تتكون مـن ثلاث طالبـات، تتخصص الأولى فـى زينة المرأة، والثـانية فيتربية الأطفال، والثالثة فى الحقوق لتدافع عن حقوق

المرأة من طرف السيدة هدى هانم شعراوى(*)، وحين طالعــت هذا الخبر- وكــان عبارة عن إعــلان- قررت الذهاب الى مقر الاتحاد النسائى....».

وقبل أن نواصل مع الحاجة زينـب حديثها نتوقف

(*) هدى شـعراوى(١٨٧٩-١٩٤٧)، هــى هدى بنـت محــمد سلطان«باشا» رئيس أول مجلس نـيابى مصرى كانت وجيهه وثرية، ترأست الحركة النسائيـة فى عصرها، ولدت فى المنيا بمصر، وقرأت القــرآن ، وأنتقل أبوها الى القــاهرة، فنشأت بها، وجاءت بمعلمات نقلت عنــهن مبادىء العلوم واللغتين التــركية والـفرنسـية، والموسيـقى، وتزوجـت على «بـاشا» الشعراوى، أحد أعضــاء الجمعية التشريعيـة، ولما كانت ثورة مصر على الانجلـيز سنة ١٩١٩، تقدمت المظاهرات الـنسائية سافرة ، فكانــت أول مسلمة رفعت الحجـاب وتوفى زوجها سنة ١٩٢٢ وترك لها ثروة ضخـمة، وفى سنة ١٩٢٣ ألفت جمعيــة الاتحاد النسائى بمصــر وشاركت فى كثيــر من أعمال البر وعــقدت المؤتمر النســائي الشرقى سنــة ١٩٣٨، والمؤتمر النسائي الـعربى فى ١٩٤٤، وحضرت عدة مؤتمــرات نسائية عالمية وأصدرت مــجلة المصرية، وتوفيت بـالقاهرة فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٧ .

قليلا أمام تفكير السيدة هدى شعراوى- رحمها الله- فقد كان ينم عن تأثر بالحضارة الغربية، واندماج كلى بالحياة المعاصرة، وأنها كانت تسعى لتربية بنات جيلها وأعدادهن إلى المستقبل، فأنطلقت من ثلاث مسائل أساسية هى: المحافظة على جمال المرأة، والمحافظة على النشء وعلى مستوى ثالث : المحافظة على حقوق المرأة ، وكلها قضايا تصب فى عمق الوجود الإنسانى الذى يتطلب الدفاع عن الحد الأدنى من الحقوق، سواء الحق فى الظهور بشكل جميل، أو حق الأبناء فى التربية السليمة، أو حتى حق المرأة فى المواطنة والمشاركة السياسية، غير أننا حين نذكر هذا لا يعنى أن هذه الأفكار ولدت فجأة فى زمن هدى هانم شعراوى ، ولكنها تأثرت فيها بالمدنية الغربية بلا شك، وكان تأثيرها واضحا على بنات جيلها، سواء بالقبول أو الرفض، ونحن يهمنا الرفض هنا ومن بين الذين رفضوا دعوتها زينب الغزالى بعد خروجها من

الأتحاد النسائى، فكيف قابلتها فى أول لقاء؟!

*** زينب الغزالى فى حضن هدى شعراوى :**

تتذكر الحاجة زينب الغزالى اللحظات الأولى للقائها مع السيدة الفاضلة هدى شعراوى، وهى لحظات- كما تقول-مملوءة بالحب والإخلاص، تقول: «.. حين ذهبت الى مقر الاتحاد النسائى، وجدت الفراشة، فطلبت منها أن تخبر السيدة هدى شعراوى، أن هناك شابة تدعى السيدة زينب الغزالى تريد رؤيتها فقامت السيدة هدى شعراوى، واستقبلتنى إستقبالا حارا، وسردت لها موقف أخى ورفضه لتعليمى فأخذتنى فى حضنها واغرورقت عيناها بالدموع، وسألتنى : لماذا يرفض تعليمك؟ فقلت لها لأنه متأخر فى فهم الحياة. وبعدها طلبت من إحدى السيدات أن تأخذنى للدكتور لكى يكشف عني لتضمني الى وفد البعثة الذى سيذهب الى فرنسا.. ولما عرف الطبيب اسمى، سألني: ألست ابنة الغزالى

الجبيلى تــاجر الأقطان وجدك محمد الجبــيلى كذلك؟ قلت : نــعم، فقال لــى ثانية : لمــاذا جئت الى هــنا؟ ودون أن يـنتظــر اجابتى واصل حديثــه، إن مثل هذه المدارس خاصة بأبناء الفقراء والمحتاجين، وهذه البعثة للعاجزين عن السفر، ... ولهذا أنا أرفض الكشف عنك ...»

ولـم تعقب زينب الغزالى على كلام الطبيب، لأنها شرحت ظــروفها للســيدة هدى هانم شعــراوى ولهذا عادت اليها، وبمجرد وصولها قالت لها : ألـم أقل لك بأن أســرتى بإمكــانها الإنفــاق على لأكون فــى أرقى المدارس غير الحكومية؟

لـم ترد هدى شعراوى على الــسيدة زينب ، ولكن مسكت يدها وقالت لها : تعالى معى .. وحين وصلتا الى الطــبيب-وكان يــدعى سليــم - قالت له الــسيدة هدى : « أرجو تسجيــلها والكشف عليها، فــرد عليها : لن أفعل لأنها ستأخذ مــكان واحدة أخرى فقيرة وهى

بنت تاجر أقطان... فقالت له :هذه الفتاة نابغة فرد عليها: نابغة لكن بإمكانها الدراسة على حساب عائلتها، عندئذ قالت له : اسمحلى أن أرسلها ضمن الوفد دون كشف وعلى مسؤولياتى ... وسجلتنى وبدأت الدراسة التحضيرية قبل السفر.

كانت السيدة « هدى شعراوى» على قناعة تامة بأن هذه الفتاة التى سجلتها نابغة بكل المقاييس، ولهذا كانت كلما جاءها أحد كبار الزوار، تقول لهم: أنا عندي نابغة الزمان وتدعوها للترحيب بالضيوف فتخطب فيهم حسب ما تعلمت من والدها من فن الخطابة والإلقاء، وما فتئت تعجب بفصاحتها لهذا كانت تؤكد على أنها بعد أن تعود من فرنسا ستشتغل بالمحاماه. واستمرت على هذا الحال الى أن تحدد موعد السفر بعد شهر، وفاجأت « زينب» السيدة هدى بإلغائها لفكرة السفر، فما الذى منعها ياترى؟!

* الرؤيا وتغير حياة زينب :

تقول الحاجـة زينب : فى إحدى اللـيالى - وكان ذلك قبل السفر بشهر- رأيت والدى فى المنام وقال لى لا تسافرى يازينب إلى فرنسا وسيعطيك الله فى مصر وبغير سفر وبغير دراسة فـوق ما تتمنين ، فقلت له: كيف ياوالدى ؟! فرد على: سترين ولكن لا تسافرى لأنى لست راض عن سفرك... وحينما صحوت من النوم ذهبـت الى هدى شعراوى ، وإعتـذرت لها عن السفر، فقامت وأخذتنى فى حضنها وهى تقول: لماذا يا زينب ؟ لماذا يا زينب ؟أنت أمل من أمالى ، وحلم من أحلامى وأغرورقتَ عيناها بالدموع ، فقلت لها: لقد جـاءنى والدى فى الرؤيـا. وحاولت اقنـاعى بأن هناك رؤى منـها ما ينفذ ومـنها مالا ينفـذ... لكن ثبت عـلى موقفى وقـلت لها: مادام والـدى أمرنى- حتى وهو ميت فلن أخالفه...»

أمام هذا الموقف علينا أن نتساءل: كم والد يستطيع

أن يؤثر فى أبنائه من بعده؟ أعتقد أنه قليل، حتى أنه بات من الصعوبة تأثير الآباء فى الأبناء، وهم أحياء، فما بالك وهم أموات، لكن حين تكون التربة طيبة فإن ثمارها تكون طيبة بإذن الله، وهكذا كانت زينب الغزالى، انها بنت صالحة تدعو له كل حين وتلتزم بأقواله حياً وميتاً، ولم تستطع الدنيا اغراءها، وقد أغرت غيرها كثيراً ، وفى ذلك الوقت كانت أية إمرأة - أوحتى رجل - مثلها يتمسك بالبعثة الى الخارج ولا يتنازل عليها مهما كانت الظروف، لكن بالنسبة لها فقد كانت تطمع حين ماهو أكثر، الدفاع عن الإسلام أولا، وارضاء الوالد المتوفى ثانيا، اتضح كل هذا فى ردها على سؤال هدى شعراوى: ما أنت فاعلة مادمت قد قررت إلغاء سفرك؟ وكانت إجابتها بكل ثقة واعتزاز سأقوم بنشاط إسلامى، ولم تكن هدى شعراوى على إستعداد لترك هذه النابغة تذهب خارج الاتحاد النسائى، لهذا أغرتها بالدخول فيه قائلة:

ما رأيك لو أصبحت عضواً فى الاتحاد النسائى وكان عمرها آنذاك ١٦ سنة، فردت عليها زينب الغزالى: فى أى مكان بين الأعضاء؟ فقالت لها السيدة هدى : عضو فى الجمعية العمومية وبعد ثلاث سنوات تدخلين مجلس الادارة، وما كان من زينب الغزالى إلا أن قالت لها : أمّا أن أدخل مجلس الادارة مباشرة أو لا أدخل اطلاقاً، فقالت لها السيدة هدى : سأبحث فى الموضوع .. وتركتها زينب الغزالى- فى ذلك اليوم - قائلة- سأتركك الآن وأذهب الى ما وعدنى الله به ».

فتاة لم تتجاور السادسة عشرة من العمر تصر على دخول اتحاد يضم أهم نساء مصر آنذاك، معظمهن سيدات المجتمع الراقى، وتطالب بأن تكون ضمن فريق القيادة، بجانب هذا نجد سيدة لها شأنها تستمع بصبر ودون رفض لتلك الفتاة، مما يعنى أن مستوى الحوار فى تلك الفترة كان أرقى من الآن، لكن ماذا

ستكـون نتيجة السـبحث والتفكـير فى مشاركـة زينب الغزالى فى مجلس الإدارة'؟

لنعد الى الحاجة زينب، ونستمع إليها وهى تقول: واقفت هـدى شعراوى علـى دخولى مجـلس الإدارة لكن كل أعضاء المجلس عارضن دخولى، ذلك لأنه لا يقـبل دخـول بنت لـم يتـجاوز عمـرها ١٦ سـنة مجلس الادارة مع حرم رئيس مجلس الوزراء، ونساء الوزراء والمسئولين، لكن السيدة هدى قالت لهن: إنى وضعت كل أحلامى وآمالى فـى هذه الفتاة وأرى أنها سـتكون خـليـفتى. وأمـام هذه الـوضعـية، قـالت المشاركات نجرى إنتخابا، فأجرين الإنتخاب، وأنقسم المجلس ،فوافق النصف وعـارض النصف الآخر لكن هدى شـعراوى - بما أنهـا رئيسـة الاتحاد، فصوتـها يعادل صوتين من أصوات الأعضاء، ففزت من خلال الصوت الـثانى الذى كـان من حق هدى شـعزاوى، وبذلك تمكنت من دخول المجلس...».

وبدخول زينب الغزالى مجلس الاتحاد النسائى، كسب هذا الأخير عضواً نشطاً، ودافعت بكل عزم وجد عنه، وقادت حروباً كثيرة من أجل بقائه وكان أول مؤسسة تقع فى تصادم مع الاتحاد هى الأزهر وأكثر ما كان يخشى علماءه وجود تلك الفتاة التى تدافع عن قناعات « هدى شعراوى» ومشروعها النهضوى من منطلق اسلامى .

* أنا لها ... أنا لها :

كان الأزهر الشريف فى تلك الفترة يتصدى لمثل دعوات هدى شعراوى، ولذلك أقام تجمعات ولقاءات ثقافية للنساء فى بعض الكليات والمعاهد الأزهرية، إذ قيد الاجتماعات بعد خروج الطلبة من الكليات والمعاهد، ومن بين النساء اللائى كن يحضرن من الاتحاد النسائى ثلاث ،انتدبتهن هدى شعراوى كممثلات للاتحاد فى هذه اللقاءات، وهن : سيزا نبراوى عضوا فى المجلس وحواء إدريس عضوا فى

المجلس وإبنة خال هدى شعراوى وزينب الغزالى (عضو فى المجلس) .

وفى إحدى المرات - حين حضرن- وجدن الشيوخ يتكلمون ضد نهضة هدى شعراوى التى رأوا أنها تريد الخروج بالمرأة المسلمة من محيط التعاليم الشرعية، وكانت زينب الغزالى تتصدى لأولئك الشيوخ، وتتذكر ذلك الآن، وتضحك عن دفاعها المستميت من أجل مشروع هدى شعراوى. وتقول :

« كنت أقول للعلماء ، إن هدى شعراوى تريد الأرتقاء بمشاعر المرأة المسلمة وعقليتها وفهمها ورؤاها، وتسعى من أجل حقوقها التى منحها لها الاسلام. . . . »

ورددت هذا أمام عشرة علماء، فبلغوا الشيخ عبد ربه مفتاح بما سمعوا، وكان انذاك رئيس قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر، وقد عرف بعقله الواسع وعلمه الغزير ورفضوا القيام بأعمالهم إلا اذا أصدر

الشيخ عبد ربه مفتاح فرارا بمنع الفتاة الجامعية الملحنية والمتكلمة من حضور الاجتماعات،ودخول الكلية لأن جمهور النساء المستمع اليها يتحزب لها، وينضم اليها كلية بغير استثناء،لكن الشيخ عبد ربه قال لهم :أنا لا أستطيع القول:أن فتاة جامعية - كما تقولون- تواجه عشرة من علماء الأزهر، ولم يستطيعوا اقناعها، فقال أحد العلماء - وكان إسمه الشيخ محمد النجار- عالم من علماء الوعظ والارشاد: وقال لهم: أنا لها .. أنا لها ، وكل هذا عرفته بعد ذلك.....».

إذن فإختيار هدى شعراوى لزينب كان فى محله فقد اتضح بالفعل انها الوحيدة التى تمكنت من الدفاع عن الاتحاد النسائى، بل أنها استطاعت أن تواجه العلماء ، فى سابقة غير معهودة على الأقل بالنسبة لعلماء ذلك الوقت، لكن مادام هناك عالم قرر التصدى لها، فإن ذلك يعنى أن مؤسسة الأزهر قد دخلت فى مواجهة فعلية، فهل ستتمكن من إعادة

زينب الـى حظيرة الأزهر؟ الجـواب فى القول الـتالى للحاجة زينب :

« حين ذهـبت فى الـيوم التـالى الى الـدرس- أنا وسيزا نبراوى وحواء إدريس .. جلـسن فجاء الشيخ محمـد النجار، وقال : السـلام عليكن ورحمـة الله تعالى وبركاته، والسلام عليك أيتها الفتاة التى تناقشى علمـاء الأزهر وتدافعـى عن السيـدة الفاضلـة هدى شعراوى وجـمعيتها وأغـراضها.. فوقفت أرد عـليه وقلت له : بداية أنا زنيب الغزالـى الجبيلى ، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .... »

* رفض بنوة هدى شعراوى :

وقبل أن تـواصل زينب الغـزالى حديثهـا عن هذا الموقف، عـادت بذاكرتها إلـى ماقبل هذا الـلقاء.. إلى أول مرة تتقدم فيها للسـيدة هدى شعراوى مبتغية إرسالها ضمن وفـد البعثة الى فرنسا، لقـد قالت لها لحظتها : أيتها الزعيمة الموقرة السلام عليك ورحمة الله

وبركاته وبعـد، لقد قرأت في الجريدة أنك سترسلين بعثة الى فـرنسا، وأنا لم آتيك لأننى فـقيرة ولا لأننى فى حاجة الـى مساعدتك ٠٠ ولم آتـيك لأن أسرتى تعجز عن تسفيرى الى الخارج٠ ولكن لأن أخى وولى أمرى يعارض مواصلة تعليمى وأنا أريد منك المساعدة لأصبـح كما أراد أبى قـبل وفاته، فـقالت لهـا هدى شعـراوى: وماذا كان يريـديك أبيـك؟ قالت السـيدة زينب: كان يريـدنى أن أصبح زعيمة للمـرأة المسلمة تحمل السـيف وتقاتل فى سـبيل الله، وتعـيد الخلافة الإسلامية ٠٠٠٠» ٠

وبعد أن أنهت زيـنب الغزالى كلامها، قـالت لها هدى شعـراوى: هل تقبلـين أن تسافرى ضـمن وفد البعـثة على أنك إبـنة هدى شعـراوى ؟ لكن دون أن تتركها تكـمل حديثها ردت عليها زينـب الغزالى بكل فخر قائلة : « لست أشـرف من أبى نسبا، ولا أرقى منه علما» ولست فى أصولك مرتفعه عن أصول أبى،

وليس لى بأبى بديلا ... أنا زينب الغزالى الجبيلى وسأظل» فما كان من السيدة هدى شعراوى إلا أن قامت من كرسيها وأخذتها فى حضنها.

كل هذا دار فى ذهن السيدة زينب ، حين أحست أن العالم الأزهرى يريد ربطها بالاتحاد النسائى، بشكل لا تختلف فيه عن الأعضاء الآخرين، وكان عليها أن توضح من البداية تميزها عن الأخريات، وكان لها ما أرادت، وذلك حين قال لها الشيخ محمد النجار : ياسيدتى أتسمحين لى بأن نتعاهد على أن أتكلم أنا سبعة أسابيع، أشرح فيها قضية المرأة فى الإسلام، وأرجو أن لا تقاطعينى ، ثم أترك مقعدى هذا لك فتتكلمين سبعة أسابيع أخرى عما تريده السيدة/ هدى هانم شعراوى بنهضتها وبجمعيتها وما تهدف اليه ؟!

وحين انتهى الشيخ النجار من كلامه : « وقفت السيدة زينب وقالت» ياسيدى الفاضل لقد وافقت

على اقتراحك هذا، وهو اقتراح عادل وسليم ».

كانت زينب الغزالى تتكـلم بكل ثقة، وتدافع عن قناعة راسخـة، هى أن العلم لا يبلغ فـيه أحد درجة الكمال، لذلـك رأت أنه من الفائدة أن تسمـع النساء لهذا الـشيخ والعالم الأزهـرى، ولم تكن خائـفة من علمه، بل كانت تسعى باحـثة عنه، لأنها ربيت على قول الحـق منـذ الصغـر، لا يضرهـا أن ضل الـناس الطريق، أو لـم يبصروا الحق، واذا كانـت قد تجرأت فى الحـ .. . قالت: لمدرسـها أنت ظالم، فـإنها الآن شابه بـعة مـتفتحة العقل، واسعة الـوجدان، تبحث عن الحـق، لحظتهـا كان عمـرها ١٧ سنة ومـع ذلك كانت تقود نســاء أكبر منها بكثير، ولإيمـانها برجاحه عقـلها وصواب قـولها لـم تستشـر زميلـتيها، سـيزا وحواء، بل انـها أعتبـرت ردها على الـشيخ محـمد النجار بقبول الاقتراح يعبر عن الاتحاد النسائى، لكنها إكتشفت فجأة أنهما تخـالفهما الرأى ، وقد ظهرذلك

جليا فى الموقف التالى :

قامت سيزا نبراوى وحواء إدريس وقالتا للسيدة زنيب: ليس لك أن تقررى شيئا دون الرجوع الى هدى شعراوى، فردت زينب الغزالى: لقد أنتدبتنا السيدة هدى لنتكلم بإسمها ونخبر عنها» غير أن هذا الرد لم يلق قبولا عندهما فأنسحبتا احتجاجا على موقفها.. وأنتهت المحاضرة وكانت حول حقوق المرأة فى الإسلام،تقول الحاجة زينب عن تلك المحاضرة: فيها طرح الشيخ النجار قضايا أعرفها، وأخرى كنت أجهلها.. وللحق فقد كان رجلا متزنا جداً، عالما جليلاً...»

وبقاء السيدة زينب واستماعها للمحاضرة شدت انتباه الشيخ النجار وكان عليه أن يعرف هذه الفتاة النابغة عن قرب ، لذلك قال لها حين همت النساء بالخروج: هل تسمحين ياسيدتى أن أحدثك دقائق فى مجال الدعوة الاسلامية؟! فردت عليه سمعا وطاعة»

فنادى رجلاً يدعى يس وقال له : أحضر كرسيين وطاولة، وأحضر لنا شايا أخضرا.

وفى لحظة الجلوس تلك، من حوالى ٦٠ سنة رفع يديه إلى السماء داعيا الله سبحانه وتعالى - ولحسن حظنا جميعا - ان الحاجة زينب تتذكر ما قاله وترويه لنا على النحو التالى :

« قال : اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى وبكتابك الذى أنزلت ، وبسنة نبيك الذى ألهمت أن تجعلها للإسلام.. إنك على كل شىء قدير ... أسألك ربى بالقرآن أن تجعلها للإسلام.. وصلى الله على سيدنا محمد ».

وحين رفع الشيخ النجار يديه الى السماء دمعت عيناه، فتأثرت زينب الغزالى بهذا الموقف، وحرك الدعاء وجدانها الإسلامى، وتندمجت فى الدعاء ودمعت عيناها، لكنها انحنت جانبا، وحاولت إخفائها عن الشيخ، وإن كانت لا تستطيع إخفائها

على الله سبحانه وتعالى، وسألت الشيخ: لماذا تعتقد بأننى لست مع الله، وأنا أصلى وأصوم وأقرأ القرآن وحين يكرمنى الله سأحج وأتمنى أن أستشهد يوما من أجل الدولة الإسلامية؟ فرد عليها الشيخ: وأنا قلبى يحدثنى بذلك! ثم رفع يديه الى السماء ثانية وقال : يارب أجعلها للإسلام قال هذا عدة مرات، وانهمرت الدموع من عينيه ومن عينيها أيضا وإعادت السيدة زينب سؤالها السابق : لماذا تعتقد ياسيدنا الشيخ أننى بعيدة عن الإسلام ؟! فقال لها لتناقش الآن، وقبلت بذلك واستمرت فى دفاعها عن السيدة هدى شعراوى ومبادئها .

وحين كانت الحاجة زينب تروى لنا هذا الموقف بدت متأثرة جدا، وقالت : كنت أسير فى طريق الاتحاد النسائى لكن الله سبحانه وتعالى أراد لى طريقا آخر .. إنه طريق القرآن .

لم يكن الشيخ النجار مقتنعا بدفاع زينب الغزالى

عن جمعية هدى شعراوى، وأصر على أن وضع المرأة فى الإسلام يختـلف عما تراه جمعيـه هدى شعراوى ومع ذلك كـله لم يدخل فـى مواجهة مباشرة، وإنما اعتمد سبيل الإقناع، لكـنه أراد أن يعرف حقيقة هذه الشخصية المتصلبة الـتى أمامه هل هى تدافع عما تراه حقا أو متعـصبه لأفكار تبدو مسلمـات؟ هل تبحث عن ضالة المؤمن التى أين وجدتها أخذت بها، أم إنها من الـذين يرون أن مـاوجدوا علـيه أبائـهم يسـيرون عليه، ويقـتدون به؟ وكان عليه منذ الـبداية أن يعرف الإجابة حتى لا يضيع جهـده سدى، لذلك سألها فى أول لقاء بينهما :

« يازينـب هل يوم أن تكمـلى النقـاش - أى بعد المحاضرات الـسبع- وأنتهيـتى الى الحق ستظـلين مع هدى شعراوى أم ستكونين مع الله ورسوله ؟

وترد عليه بموقفها الثابت وقناعاتها الراسخه : وأنا مع هدى شعراوى أعتبر نفـسى مع الله ورسوله صلى

الله عليه وآله وسلم

قال الشـيخ محمد الـنجار تعليـقاً على إجابـتها : دعينا نعرف موقفك حين أنهى السبع محاضرات؟

لكن لنتعاهد معاً على نصرة الحق فهل تعاهديننى؟

فقالـت له : نتعاهـد على ذلك، لكـن أؤكد لك بأننى مـع اللهورسوله صلـى الله عليه وآلـه وسلم وأدعو الله سـبحانه وتعالى أن تكـون هدى شعراوى مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضا . . »

ومن ذلك اليوم وبـعد كل محاضرة يلتـقى الشيخ النجار وزينب الغزالـى، ومع الأيام صارت قريبة من كلام الشيـخ، وبدأت تعرف أموراً جديـدة فى الدين لكن قبل أن يعرف رأيها وموقفها، حصلت لها حادثة غيرت مجرى حياتها كله، وجـعلت منها زينب العالمة الداعـية الـتى نؤرخ لحـياتهـا الآن، وهاهـى تروى الحادثة .

* ..وكادت أن تصبح رابعة العدوية :

حين يجد الانسان المؤمن نفسه وجها لوجه أمام مصيبة يستعين بالله ويستهديه. ويطلب رحمته ويقف أمام سلوكه وأفعاله متسائلا ماذا فعلت ؟ وبدل أن يتقدم أو يستمر فى أفعاله التى تعود عليها، يقف ليتساءل عن أفعاله فى المستقبل؟ وأتصور أن السيدة زينب وأمام ضغط علماء الأزهر وأسئلة الشيخ النجار خصوصا، أصبحت تتساءل عن نشاطها كله داخل الاتحاد وخارجه. هل يتطابق مع الاسلام؟ وربما لهذا السبب حين أصيبت بالحادثة - التى سنذكرها - بعد قليل فسرتها ضمن المعايشة اليومية للدروس والمحاضرات الدينية فى الأزهر، وهذا - فى تصورى- أمر طبيعي لفتاة تربت فى أسرة متدينة وسعت الى القيام بدور طلائعى وقيادى من أجل الإسلام.

والحقيقة أن الحادثة التى تعرضت لها زينب الغزالى تحدث كل يوم وللآلاف من الناس، ولكل انسان

تفسيراته الخاصة، وربما هناك من لا يقف أمامها كثيرا ليتساءل لماذا وقع لى هـذا؟ وما هى أخطائى ياترى ؟ مع أن الأمـر فى الأول والأخـر بيـد اللـه سبـحانـه وتعالـى، لكن زينـب الغزالى، ربـطت ماحدث لـها ببعدها أو قربها من الله تعالى.

لنتابع تلك الحادثة من البداية، تقول الحاجة زينب : « .. فى إحـدى الأيام بعـث أقاربنـا من القـرية بمجموعة من الفـراخ (الدجاج) والبط والأوز.. ولم تكن أمى فى الـبيت، فسألت جدتى ماذا نـفعل بها؟ فقالت خذى ذكر بط وفرختـين وجهزيهما للأكل .. لم تكن الوسائل أنذاك متـاحة كما هو الآن، فطلبت من الطباخ أن يشعل البـابور، ووضعت عليه الأكل، وحين عدت لأرى الأكل ، إذ بالبابـور ينفجر وأتت النار علـى وجهى وكتفى ، وكل جسـمى.. وكانت جدتى عجوز مـسنة ،فقالت للطبـاخ - حين سمعت بالحادث: خذنى الى زينب وأحضر لى لحافاً، ففعل،

ولفتنى فى اللحاف، وما كـادت أن تنهى عملها حتى أتت الـنار على كـل جسمـى٠٠ وأرسلوا فى طـلب أخوتى، فجاءوا جميعهم، وأسرعوا بإحضار الطبيب، وقدم لى الإسعافات الأولية- وطلب منى النوم وعدم الحركة، وأن يـكون أكلى سوائل فـقط ، وقال : إن وجهها سيـشوه وكذلك كتفيها، وعلاجـها لن يكون فى مصر وعليكم بتسفيرها إلى الخارج»٠٠ فقلت له: أنا سأسـتمر معك فى الـعلاج، ولن أكشف جـسمى أمام الأغراب فى الخارج٠٠ فرد عليّ بقوله : سأعمل كل ما فى وسعى من أجـل علاجك ٠٠٠ وكان يأتى كل يوم ويغير على الجراح، لـكن حالتى كانت تسوء كل يوم، وفـقد الطبيـب الأمل فى شفـائى٠٠ وقال لأخى: إنـها لن تعـيش ٠٠ ولهـذا اتصل تـليفونـياً بالأهل فى القرية وطلب منهم تحضير خروفين وعجل من أجل مأتم زينـب، لأن الطبيب قال إنهـــا فى حالة خـطيــرة،وهم فقـــط ينتظـــرون مـفارقة

الـــروح للجسد ٠٠٠»٠

لكن ماذا كانت تفعل السيدة زينب خلال مرضها؟ تقول : « كنت أصلى بالـتيمم ٠٠ وفى اليوم الذى سمعت فيه أقوال أخى، صليت العشاء ثم دعوت الله فقلت :

« ٠٠٠ يارب إذا كان ماوقع لى عقـاباً لانضمامى لجمـاعة هدى شعـراوى٠٠ فإننـى قررت الاستقـالة لوجهك الكريم٠٠ وإن كان غضبك علي لأننى ألبس برنيطه «قبعة»٠ فسأنـزعها ٠٠ وإنى أعاهدك وأبايعك أذا عاد جـسمى لمـا كان عليـه، على الاسـتقالـة من الإتحاد الـنسائـى وأؤسس جـماعة أسـميهـا جمـاعة السيدات المسلمات لنشر الدعوة الإسلامية وعودة المرأة المسلمة إلى ما كانت عليه صحابيات رسول الله صلى الـله عـليـه وآلـه وسلـم وأدعـو لعـودة الخلافـة الإسلامية، وأعمل من أجلها، وأجاهد فى سبيل الله ما استطعت، وأعيد المرأة المسلمة الى حاضرة عقيدتها

ما استطعت .. هذا اذا كنت راضياً عنى أما اذا كنت غاضبا عنى ،وسيستمر جسدى على ماهو عليه سأعيش رابعة عدوية(*) جديدة فى حجرة تغلق عليّ لا أخرج منها الا للتغيير على الجراح».

* زينب من البرنيطة إلى الحجاب :

كانت زينب الغزالى قد مكثت فى فراش المرض شهراً، وحين دعت الله سبحانه وتعالى ليلاً، ما كانت تعتقد أن استجابته جل جلاله ستكون سريعة ومذهلة فى عرف البشر لأننا لم نع ولا يمكن لقدراتنا العقلية أن تعي المقدرة الإلهيه التى تحول

(*) رابعة العدوية هى رابعة بنت اسماعيل العدوى مولاة آل عتيك البصرية،و صالحة مشهورة من أهل البصرة، لها أثارها فى العبادة والنسك والشعر، من كلامها. « إكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم.. » توفيت سنة (١٣٤هـ) بالقدس وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقه على رأس جبل الطور وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ وفاتها ، وشكك البعض فى وجودها أصلاً.

الأشياء إلى نقـائضها، وبما أن دعوة المؤمن نـابعة من القلب، وكانت زينب الـغزالى كذلك، فما إن أشرق يوم جـديد، وجاء الطـبيب كـعادته، وبدأ فـى رفع الشـاش صار يسـألها من أنـت ؟! وهو صائـب فى سؤاله فقد تحولت إلى شخص آخر، ألم يكن البارحة يدرك أنها أيام فـقط وتفارق الحياة؟ ألم يقـل إنها فى حالة خـطيرة، لكن ها هـو الآن يراها سليـمة لا أثر للحروق، وجدها كما كانت قبل الحادث وزجابته بعد دهشة : أنا زينب يادكتور، ونادى إخوتها وباقى أفرد الأسـرة ليـروهـا، وإذا بأخـيـها الـكـبيـر يـتصـور الدكـتـــور- الطـبيب - هـو السيد المـسيح علـيه السلام، فقال له الطبيب : أستغفر الله العظيم ... والله إنى لـم أفعل شيئا، ثـم نظر إليها أخـوها على وقال هذه أخـتى قبل الحرق، وصـار يقبلـها وهى لا تحـس بأيـة آلام .. وكـانت المـفـاجـأة للـطـبيـب المعالج....».

وأحس الطبيب المعالج أن هناك أمراً ما يتجاوز قدرات العقل البشرى، لذلك رفض أخذ النقود، وأسرع بالخروج، فلحق به إخوة زينب الغزالى إلى عيادته، لكنه أصر على عدم أخذه أجرة، غير أنه طالب بما هو أهم من المال، وهو دعوة زينب الغزالى له ولزوجته وأبنائة بالخير، ... فدعت لهم جميعاً، وترجاها زيارة بيته وعيادته وكان له ما أراد.

كانت استجابة الله سبحانه وتعالى لزينب الغزالى سريعة، ذلك لأنها حين تتطلعت فى المرآة وجدت نفسها كما كانت قبل الحرق، فهل وفت لما وعدت الله به ؟!

تقول الحاجة زينب : حين وجدت جسدي كما هو قبل الحرق، أول ما فعلته كتبت خطاباً لهدى شعراوى أعلن استقالتى، ثم طلبت جلابية طويله إلى غاية الأرض وطرحة -' خمار- مغلقة من الأمام وضعتها بدل البرنيطه - القبعة- وبذلك لبست الزى الإسلامي

على حسب أوصاف الشيخ محمد النجار.

جميع الأعمال التى قامت بها زينب الغزالى فى لحظة اكتشافها لشفائها من الحرق، تبين التغير فى حياتها، والوفاء بالعهد مع الله سبحانه وتعالى. والذى عليها أن تظهره فى استقالتها من الاتحاد النسائى، ولهذا سارعت إلى كتابة خطاب الاستقالة الى الزعيمة هدى شعراوى، وكان الخطاب مستعجلاً ومسجلا، وإذا كنا لا نعرف رد فعل هدى شعراوى لحظة وصول الخطاب اليها، إلا أن كل الدلائل آنذاك توحى بخسارة فادحة للاتحاد النسائى بسبب استقالة زينب الغزالى.

* فى الحج هدى تشكو لزينب همومها :

والملاحظ أن السيدة هدى شعراوى تصرفت كزعيمة وبحثت عن زينب الغزالى، وطلبت منها مقابلتها ففعلت، وحين قابلتها أخذتها بين ذراعيها وضمتها إلى صدرها وقبلتها ثم بكت وقالت لها :

« يازينب كنت أريد أن تكونـين خليفتى من بعدى للاتحاد النسائى، فردت عليـها زينب الغزالى، اخترت واختار الـله، فكنـت مع اختيـار الله. وإن شاء الـله سأظل لبعتك الوفية وسأتحدث عنك بالخير ماحييت. وأتكلم عن فضلك وأخلاقك ومكارمك العالية، وهذا عهد بينى وبينك...».

وفعلا لم تنقطع العلاقة بينهما، وكانتا تتحابان إلى درجة كبيرة، حتى أن السيدة هدى كانت تصرح لزينب الغزالـى بمعاناتـها من بعـض المواقف، من ذلـك ما تتذكـرة الحاجة زينب فـى قولها: « الـتقيتهـا مرة فى الحج، فـأخذت كل واحـدة منـا الأخرى بالأحـضان والقبل ، ثم-قالت لى : يازينـب هناك أمر يضايقنى فقلـت لها وماهو يـاسيدتى؟ فقـالت : لقد أنزلـتنى الحكومـة السعودية فـى ضيافتـها وأنا جئت لـلحج، وجئـت أيضـاً أدفع إيـراد الوقـف الذى جـعلـه أبى للحرمين.. وكان متأخرا عنا للحكومة السعودية ..

وإن هناك أمرا يضايقنى هو أن الرجل الذى يصاحبنى ومكلف بحراستى عباراته ليست فى المستوى المطلوب، فهو يقول لى : أنزلني يامرة أذهبى يامرة، وقالى يامرة .. إن هذه اللغة تؤلمني جداً ».

أخذت الحاجة زينب الأمر على عاتقها، وكلمت سكرتير الملك عبد العزيز فى ذلك الوقت وقالت له : ياأستاذ عبد الله، السيدة هدى هانم شعراوى نزلت فى ضيافتكم، وهناك أمر يضايقها فقال ماهو؟ قالت له : انتم وضعتم معها عسكرى وهو غير مثقف وهى امرأة مثقفه ومن طبقة عليا ووضعها الأدبى والسياسى فى مصر يساوى مكانه رئيس الوزراء(*) فكيف تعامل

(*) لم تكن الحاجة زينب مخطئة فى تقييمها لمكانه السيدة هدى هانم شعراوى داخل المجتمع المصرى ذلك لأن شهرتها غطت - فى بعض الأحيان . على شهرة زوجها المناضل الوفدى العريق على شعراوى الذى كان واحداً من أعضاء الوفد الشهير الذى قابل المعتمد البريطانى فى يوم من أيام ١٩١١ الذى شهد بداية الثورة الوطنية المصرية ==

هذه المعاملــــة؟ ولا بد أنيكون معها شخص مثقف يناديهـا بلقبها فـى بلادها أو أي لقب آخر يـرضيها؟

== فى ذلك ، بل يـقول عدد من المؤرخين المـصريين أن وقوف على شعراوى مع زوجته هـدى فى نضالاتها على عكس ماكان متوقعا فى ذلك الحين من لون سياسى ينتمى أصله الى الصعـيد. ساهم كثيرا فى الصورة الـرائعة التى ترسـم له وتضـعه فى الـصف الأول بـين زعماء مـصر الوطنيين فى ذلك الحـين، وإن كان البعض الأخر يرى أن هدى شـعراوى وجدت فى الـنضال تعـويضا علـى عدم رضاها عن حياة زوجية فرضت عليها فرضا، وأنها كانت من الاستقلال وقوة الشخصيـة بحيث أنها هى التى أثرت على زوجها ودفعته لسـلوك درب العمل السياسى ٠٠٠! من ناحية أخرى خرجت مع زوجها من حزب الوفد حين بدأت الخلافات والانشقاقات داخل الحزب وبخروجها من حزب الوفـد وإنقلابهـا على سعـد زغلول، تركـت لجنة الوفد المـركزية للسيـدات لتشكل فـى عام ١٩٢٣ الاتحاد النـسائى المـصرى الذى قامـت من خلالـه بعده أعـمال لصالح المرأة المصرية. ٠ أنظـر ، إبراهيم العريس . ذاكرة القرن (رحيل الرائدة المصرية هدى شعراوى) فى صحيفة الحـيــاة الــعـــدد ١١٩٨٢ ص ١٩ ، بــتــاريــخ ١٢/ ١٢/ ١٩٩٥بتصرف ٠

وإما أن ترفعوه بشكل نهـائى، أو تأتون بشخص أخر يحسن التعامل معها٠٠» لكن هل نجح تدخل الحاجة زينب ؟

لقد كان لتدخلها نتيجة مرضية، فقد جاءوا للسيدة هدى بـرجل مـثقـف ، طيـب الحديـث مؤدب راق المشـاعر، ولذلك وجـب الشكر لـها، تقول الحـاجة زينب : حين التقيت ثانـية فى نفس أيام موسم الحج فى الحرم مع الـسيدة هدى شعراوى قـالت أشكرك: وأنت ابنتى،.وتضيف الحاجة: لقد كانت السيدة هدى شعراوى إنسانه مسلمـة ، تصلى وتحج، وتحافظ على إيراد الحج٠٠ وهـذا دليل على أنـها صادقة المـشاعر داخل قلبها تجاه دينها٠٠٠».

وهكذا نلاحـظ أن زينب الغزالى لا تـذكر هدى شعراوى إلا بالخيـر كما وعدتها، وهو كلام يـنبع من قلب صاف مفعم بالحب والإخلاص٠

* المحبة وسكرات الموت :

كان هناك إختلاف بينا بين الأثنتين فى مسائل التغيير وتطوير المرأة والمجتمع،وهذا لا ما جعل الأزهر يرفض دعوة الأولى - أى هدى شعراوى - ويقبل دعوة الثانية، لكن لماذا ذلك؟ الإجابة نجدها عند زينب الغزالى التى قالت « .. لقد أستقبل الأزهر دعوتى لأننى كنت ثمرة من ثماره، إذ أنشأ دروسا للسيدات فى ذلك الوقت ليقاوم بها دعوة السيدة هدى هانم شعراوى، التى أعتبرها مقاومة للإسلام. وعلى الرغم من كونى عضو فى الاتحاد النسائى- آنذاك- وفى مجلس الإدارة إلا أن نظرة علماء الأزهر لى كانت مختلفة ربما لكونى حافظت على صلاتى وعلى مطالعة الكتب الفقهيه، وسرت على الطريق الصحيح الذى رسمه لى والدى ...».

هكذا إذن نظر الأزهر- كمؤسسة قوية فى ذلك العهد - الى قائدة كبيرة هى هدى شعراوى وإلى فتاة

نشطة داخل حركة الاتحاد النسائى هى زينب الغزالى، وكما رأينا فى البداية، فإن علماءه كانوا يميزون بين هدى شعراوى وزينب الغزالى · لكون هذه الأخيرة مثقفة أولا، وخطيبة ثانية - ودفاعها مستميت عن الحق وعن أفكارها وقناعاتها، لكن ما موقف الاتحاد النسائى من الأزهر ؟ هكذا سألت الحاجة زينب فقالت :

« . . . كلفنّ بتقديم تقرير للسيدة هدى شعراوى عن موقف الأزهر من دعوتها، وشمل التقرير أيضا الإجابة عن السؤال التالى : هل الأزهر يريد محاربة تنظيم وأفكار هدى شعراوى، أم يريد الارتقاء بالمرأة ومعارفها الإسلامية، فاذا كانت الحالة الثانية، فذلك أمر حسن أما اذا كان يريد مقاومة دعوة تحرير المرأة فإن الموقف سيختلف ،غير أنه بالنسبة لى ، كنت أرى من الضرورى التقريب بين الدعوتين، دعوة الأزهر ودعوة الاتحاد النسائى، ولكننى قوبلت

بالرفض من الجهتين ، فعلماء الأزهر أعتبرونى مقاومة لدعوتـهم٠٠ وزميلاتـى سيزا نبـراوى وحواء ادريس اعتبرتا محاضرات الأزهر ضد الاتحـاد النسائى لكننى قدمت تـقريرا للـسيدة هدى شـعرواى قلت فـيه: إن محـاضرات ودروس الأزهـر خدمة لـلمرأة المـسلـمة خصـوصا، والأمة الاسـلامية عـموما، وأنـها - أى المحـاضرات- لـيسـت ضد الاتحـاد النـسائـى ٠٠٠ وأضفت : مـن الأفضل لنا جمـيعاً، ولكى نتـخطى الاختلاف بـين رؤيتى وبين رؤية الـزميلتين، أن نـقيم مناظرة بين جـماعة من علماء الأزهر، وجـماعة من الاتحاد النـسائى ، لكن هـذا الأمر تأخر عـدة سنين وفى النهايـة خرجت أنا من الاتحاد النسـائى وأنشأت السيدات المسلمات ٠٠٠»

واذا كانت المناظرات لم تتـم ، فقد وقع ماهو أهم من ذلك وهـو الاتفاق الأول الذى تـكلمت عـنه فى البداية ، إلقاء الشيخ محمـد النجار سبعة محاضرات

متتالية ثم تلقى أعضاء الاتحاد النسائى مثل ذلك ولكن السيدة زينب لم تحضرها جميعها لأنها تعرضت لحادث الحرق، ولم يكن مهما إنهاءها من طرف علماء الأزهر، لأن النتيجة تحققت بميلاد السيدات المسلمات. والتى كانت نتاج لتربية السيد الغزالى الجبيلى، ولاحتضان هدى شعراوى لتلك النبتة الطيبة، التى لم تكن من نفس تربتها، ومع ذلك لم تفارقها وكانت شاهدة على وفاتها، وفى هذا الصدد تقول الداعية زينب الغزالى:

« . . . أشتد المرض على السيدة الفاضلة هدى شعراوى(*)، وطلبتنى وذهبت اليها، وكنت أزورها

(*) كتبت هدى شعراوى حين اشتد بها المرض وبات رحيلها مؤكدا، تقول: « أرجو منكم الا تبكوا على ، فأنا وفيت بكل ما كان على من ديون لهذا الوطن، واليوم صار قبري دارى ألا فليبارك الله دار الصمت هذه. . . » أنظر ابراهيم العريس- ذاكرة القرن ، جريدة الحياة اللندنية- مرجع سابق.

دائما، ولـم أكن وحدى هناك بـل العديد من الـنساء فهى امرأة قائدة كونت جيلاً بأكمله، ووافتها المنية وأنا بجانـبها، فحضـرت بذلك آخر سكـناتها من الـدنيا وشاركت فى جنازتها، لقد كـانت امرأة فاضلة متدينة وإن إختلف مظهر جمعيتها النسوية عن ذلك ٠ ٠ ٠ ٠»٠

وأسأل الحـاجة : ماذا تقـصدين بـاختلاف مظـهر جمعيتها عن ذلك ؟ فتقول : أقصد أن الحركة النسائية فى مـصر آنذاك كانـت حركة علـمانية، وإن كـانت تقودها المرأة الفاضلـة هدى شعراوى ٠ ٠ ٠ وباختصار فإن الدين لم يمثل القضية الأساسية فى نشاط الأتحاد النسائى ٠ ٠ ٠ ٠ »٠

والحقيقة - وحسب المراجـع التاريخية - فإن هدى شعراوى التى بدأت نضالـها منذ ١٩٠٧ حين قدمت عملاً لم يكتمل لوقوف السلطات ضده، وهو محاوله إنشاء جمـعيه لرعاية الطـفل، كانت قائدة للـجماعة العلمانية لتغييـر المجتمع المسلم نحو رؤى وأطروحات

مختلفة تمـاما عن ثوابته وثقافته الأصـيلة، واذا كانت زينـب الغزالـى تذكرها الآن بـالخير - فـى تقديـرها لهذاس الموقف - بعد ٤٨ سنـة من رحيلها فإن ذلك أعترافا بالجميل لكن المؤكد أن هدى شعراوى طرحت أفكـارا مخالـفة لأنماط الثـقافة الإسـلامية مـن ذلك دعوتها الى السفور.

وربما يكون أحـد أسباب نفور زينب الـغزالى من الاتحاد هى المظاهر التى بدأت تعم المرأة المسلمة بدليل تعهدها لله سبحانه وتعالى إنه اذا شفاها ستتخلى عن البرنـيطة واللباس الـنسوى آنذاك، وتلبـس الحجاب، وفعـلا قامـت بذلك وسـارعت الـى ارسال خـطاب استقالـه وهو خطاب يحمـل فى طياته، اعتـماد نهج جديد فى الحياة يختلف بطـبيعة الحال عن النهج الذى كانـت تسـير عـليه، عـلمـا بأنهـا لم تـكن سـافرة كالأخريات، وملتزمة بآداء فروضـها، بل ومقتنعه بأن الاتحاد النسائى على حق، وقد رأينا كيفية دفاعها عن

السيدة هدى أمام علماء الأزهر، لكن الآن صار عليها لزاما أن تتخذ طريقا آخر، تجسد فعلا وعلى مستوى النشاط الاجتماعى، وهكذا بمجرد أن لبست الحجاب كتبت فى نفس اللحظة قانون السيدات المسلمات »٠

ومنذ تلك اللحظة - التاريخية - فى حياتها وحياة الدعوة الإسلامية شقت طريقا جديدا، أعطى نتائج داخل مصر وخارجها ، كانت مقدمتة الأولى حادث الحرق، ونتيجتة كتابة قانون السيدات المسلمات من شابة تسير فى طريق الدعوة، أحست فى لحظة زمن أنها يمكن أن تكون رابعة العدوية، وإذا بها تصير شبية « بنسيبة بنت كعب » ٠٠٠ وها هى تشق الطريق وحدها، لكن هذه المرة قائدة ومؤسسة لجمعية تحمل إسم الإسلام وعليها أن تكون كذلك، فهل فعلا أصبحت كما أراد لها والدها؟ لنتابع قصتها فى الفصل القادم ٠

الفصل الثالث

« السيدات المسلمات »

من المساجد إلى القصر

* المسجد .. وميلاد المحبة .
* الداعية الشابة .
* الجلسة الأولى .. وفلسطين .
* اللقاء الأول بالإمام « حسن البنا » .
* الإختلاف مع الملك فاروق .
* الملكة فريدة .. «امرأة عظيمة » .

كل المعطيات في بداية القرن العشرين كانت تشير الى أن الأمة الاسلامية، تتجه نحو التغيير والنهضة، ولم يكن الاتجاه خاص بفرد، بل هو تفكير جماعات مختلفة، وإن كانت تحركة - في البداية- عناصر قيادية فعالة، وهذا أمر طبيعى لكل المجتمعات، وكما هو حال الأمة الاسلامية دائماً لجأت - فى تلك الفترة إلى الدين وهى كانت وما تزال تلجأ إليه وبقدر فهمها لهذا الدين تستطيع المواجهة من عدمها، وهذا يعنى أن درجات الفهم والتعمق، والالتزام هى التى تحدد توجه الأمة الإسلامية، فإذا توفرت عوامل دفع الذات الإسلامية الى الأمام ما كانت لتنكص على عقبيها أبدا وهكذا كانت« زينب الغزالى الجبيلى»٠

لقد عاهدت الله سبحانه على أن تكون للإسلام، وها هي بمجرد شفائها تحاول الوفاء بعهدها، فبعد أن أرسلت خطاباً مسجلاً للسيدة هدى

شعـراوى- كما ذكرت فـى الفصـل السابق- قـامت بكتـابة قانون السيـدات المسلمات، وكان فـى حوالى ٢٠ صفـحة وأهم ماجـاء فى بنـوده حسب ماذكـرته الحاجـة زنيب« القـاء المحاضرات ، والـقيام بأعـمال ترجع المرأة المـسلمة إلى عهـد النبوة، والمساهـمة فى حل المشكلات الاجتماعية٠٠٠٠٠٠الخ»٠

وكان هـناك تـأكيـد واضح عـلى ولادة هـذه الجمعيـة النسوية طبقـاً للحقيقـة القرآنية المتمـثلة فى وجود أمه تدعو الى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لهذا نلاحظ فى وثيقة التأسيسى كثرة استعمال الآيات القرآنية(*) وهذا بمثابة إعـلان ، وإبلاغ للناس

(*) جاء فى وثيقة التأسيس : « بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الـعالمين الرحمن الرحيم، مالـك يوم الدين، أياك نعبد، وإياك نـستعين، اهـدنا الصـراط المستـقيم، صراط الـذين أنعمت عليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضالين ٠٠٠ ونشهد أن لا إله إلا هـو له الأسمـاء الحسنـى، يسـبح له مـافى السـموات والأرض وهو العـزيز الحكيم، ونـشهد أن سيـدنا ونبينـا ومولانا محمد عـبد الله ورسوله سـيد الأولين والآخرين، ارسلـه الله= =

بأن هذه الجمعية تتبع طريق الحق والنور.

* المسجد .. وميلاد المحبة :

ومنذ أن بدأت زينب الغزالى نشاطها كانت

==بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا. محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراه ومثلهم فى الإنجيل، كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ، فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفره واجراً عظيماً... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومتبعيه، وحزبه اولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.. أما بعد -- فقد نهضت طائفة عن يحبهم الله ويحبونه، أذلة على المؤمنين ، أعزه على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء والله واسع عليم.

نهضت من هؤلاء فصيلة طابت عناصرها، وزكت روحها، وسمت فى محاسن الدين أخلاقها فتكونت للدعوة الاسلامية جماعة الخير والبر الإسلامية، تدعو الى سماحة التعاليم السامية تحت رعاية الوعظ والارشاد والمعاهد الدينية. تكونت جماعة السيدات المسلمات، وسنت سننها، وشرعت قانونها فى ١٢ ربيع الأول ١٣٥٦ الموافق ٢٢ مايو ١٩٣٧، وأخذت فى القيام فعلا ببث دعوتها بالطرق المشروعه تحت تأثيرات الضمير المؤمن والايمان الخالص وهى جاده بعون الله والله تسأل الهداية والسعادة والرشاد أنه سميع قريب مجيب ».

تؤمن بـالجدية والسـرعة فى الأداء ، فمـا ذلك وهى تنشـىء جماعة الـسيدات المسـلمات، تلـك التنظـيم الخيرى، والسياسى بعد ذلك، الذى تفرغت له تماما، لقـد عقدت أول اجـتماع لـها بكـلية الـشريعـة ثم استأجرت داراً بـشارع نور الظلام بالحلمـية الجديدة، وفتحت العضوية لكل طبـقات الشعب بلا استثناء من منـطق أن الدين الاسـلامى عالمى، ولـكل الطبـقات داخل المجـتمع الـواحد، وعلـى من يـرفع شعـاراته ويتـحمل مـسئولـياته أن يطـبق قواعـدة ومنهـا عدم التمايز، وطبعاً بدأت الحركة بـأعداد قليلة ثم اتسعت لآلاف السيدات.

وفى بداية الأمـر حين حصلت على الـتصريح بإنـشاء الجمـعيةمـن وزارة الأوقاف، حـصلت عـلى تصريـح لإنشاء معـه بإنشاء خمـسة عشرة مـسجدا، وهكذا كـان المسجد- ومـايزال- هو المدرسـة الأولى ليس بالنسبـة للصغار أو الشباب ولكن بالنـسبة لكبار

السن، وإذا كان البعض يقول أن سياسة بعض الدول يمكن معرفتها من نشاط الطلبة فى الجامعات، فإننا نقول أن المجتمعات الإسلامية الحالية يعرف ضعفها من خلال أئمة مساجدها، وجدتموهم يلوكون الخطاب ويدارون عن هذا وذاك، وغير متفقهين فى الدين، ولا يعرفون طبيعة المجتمعات والعقول التى يخاطبونها، فاعرف ان الوضع مزري، وفى حالة تخلف، وأعتقد أن الأمة الإسلامية تعيش هذه المرحلة اليوم.

كانت انطلاقة زينب الغزالى من المساجد، أى من بيوت الله، لهذا كانت نشاطات الجمعية تدخل ضمن المفهوم الروحى للمساجد، لا كهياكل ومبانى قائمة، تقام فيها صلوات فهى لا وتَنْهى العلاقة مع الله من خلال بيوته بمجرد انتهاء الصلاة، وإنما جعلت المساجد تمتد الى المجتمع وهذه حالة جديدة، لأن المستضعفين عادة يأتون مستنجدين ببيوت الله،

وأحيانـا يمنعون فى الـصرخات والآهات، فيـلجأون الى الاحتـماء بظلهـا، لكن انشـاء جمعية الـسيدات المسلمـات، جعل المساجد تـدخل بيوت المستـضعفين والفقـراء، أى أن تأثير المسـاجد لم يعد فـى لحظات العبادة فقـط، ولكن فى لحظات العمـل أيضاً، وهذا يعني شمولية العبـادة، وهذا يوكد حقيقتين : الأولى أن النساء حين يـقررن فعل الخير وفى لحظـات السمو الروحى لا يمـكن أنيثـنى عزمهـن أحد، ويفسـر هذا مسـألة الاستـعداد للـخيـر، وأنه ليـس حكراً عـلى الرجال، والثانية: أن هم المرأة المسلمة آنذاك كان هما عقائدياً وحضارياً، عبـادة ورسالة وخلافة، وهو على عكـس همومـها الآن، التـى لا تتـخطى مـتطلـبات "الجسد" واستغلال ذلـك من طرف الرجال، وهذا يعود فـى أساسة إلى طبيـعة المجتمع آنـذاك، فهو لا يزال عـلى صلـة غير بـعيدة بمـوضوع الخلافـة، وما يترتب عن أمـنية عودة الخلافة الإسلاميـة من أفعال،

وصعوبات، يضاف إلى ذلك الـظروف المادية الصعبة التـي كانـت تمر بهـا المجتـمعات الإسـلاميـة، وهي مختلفة عن الظروف الحالية، وإن كان الصراع واطرافه لم تختلف كثيراً، غير أنـه علينا أن نعترف بكل مرارة وأسف أن عـامل جديـد يطرح عـليـنا، وهو نـعدد الأفهام للإسلام وكثرة الفرق داخل المجتمع الاسلامى الواحد إلى درجة أدت الى الامتـثال، وذهب ريحنا، وكسرت شوكتنا، ولم نعد على قلب رجل واحد.

إذن فظهور جماعة السيـدات المسلمات لم يكن دعوة فردية وإن كـنا لا ننكر الدور الأسـاسى والرائد لزينب الغـزالى، وهى قائدة فى هذا العمـل، بجميع مقاييس القيادة، إنما هى دعوة جماعية، أين أن الناس استجابوا لهـا بسرعة مذهلة وغير متـوقعة حتى غدت خطـراً على الأنظـمة، وهذه الأخـيرة عادة ما تـأخذ موقـفاً عدائـياً من عـموم الخـير، فحـلت الجمـاعة لاخـتلاط الـتقـيـم السـياسـى، بالـعمـل الخيـرى

الاجتماعى، وهذه القضية ، مضطرين أن هى نتركها رغم أنها تتطلب دراسة مستفيضة لأنها ليست القضية المحورية فى موضوعنا.

وفى وقت قصير استطاعت جماعة السيدات المسلمات أن تخرج الواعظات وتقيم مساجد أهلية بجانب مساجد الأوقاف وانتشرت الدعوة حتى أصبح لها فى السنة (١٩) إجتماعاً فى الأسبوع، وبعد عقدين من الزمن أصبحت تجذب إليها خلقاً كثيراً، وأسهم فيها كبار الشخصيات بما فى ذلك أعضاء قيادة الثورة (*)

(*) يتضح ذلك فى تقرير مجلس ادارة جماعة السيدات المسلمات عن أعمالها فى سنة ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١ ميلادى، وفيه نجد مايلى : يقدم المركز العام لجماعة السيدات المسلمات شكره وتقديره لسيادة المشير عبد الحكيم عامر، نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة على ماقدمه مشكوراً من عطف ورعاية إلى دار كفالة اليتيمات مما كان له الأثر الملموس فى تحسين حاله اليتيمات....». ==

* الداعية الشابة :

كانت جماعة السيدات المسلمات في ذلك الوقت تعبر عن الوجه النابض والضمير الحى للأمة، ولكن كيف استقبل الناس في مصر هذا النشاط، خاصة وأن رئيسة المركز ومنشئة الجمعية كانت أصغر داعية آنذاك؟ ... هكذا وجهت سؤالى إلى الحاجة زينب الغزالى، فضحكت واعتدلت في جلستها، ويبدو أنها كانت متوقعة مثل هذا السؤال، ثم قالت: استقبل الناس دعوتى بترحاب واسع، وتفاعل كبير، ولم ينظروا لسنى آنذاك- علما بأننى كنت فى الثامنة عشر سنة من عمرى. وإنما نظروا إلى أفعالى، بل أن عمرى كان عاملا مساعداً لى فى تحريك الجماهير،

=ولم يكن المشير عبد الحكيم عامر المساهم الوحيد فيهذه الأفعال بل هناك أسماء أخرى ذكرت منها المقدم على شفيق والعقيد سعد الدين الشريف، والحاج محمد سالم سالم والسيد محمود فتحى مدير عام الجمعية التعاونية للبترول، وفتحى لطفى الرفاعى.

خصوصا وأننى كنت أنقد الحكام بشدة ، وسرعان ما خرجت الدعوة خارج مصر، بعد تأسيسى لبعثه سنوية للحج، مثلت المرأة فيها الأساس، وكان عدد المسافرين كل سنة للحج مابين ٣٥٠ و ٤٠٠ سيدة مع محرمهن ...».

إذن جماعة السيدات المسلمات كانت تحاول إعادة دور المرأة فى التاريخ وصنع الأحداث، وتحويل اهتمامها من مجرد عنصر تابع إلى عضو فعال حيث تسعى لاخراجها من ضيق الفكر الإنسانى إلى سعة الدين الإسلامى، لكن هل اختصرت المشاركة على بنات وسيدات الطبقات الدنيا من المجتمع، أم هناك عضوات فى الجماعة من العائلات الأستقراطية والمالكه؟ وعن هذا السؤال تجيب الحاجة زينب قائلة:

« .. لم يكن معنا من العائلة المالكة أحد، لكن كانت عضوات فى الجماعة، زوجات لبعض المسئولين، من ذلك مثلاً حرم اسماعيل باشا صدقى،

التى كانـت عضواً فى الجمعيـة العمومية، عـلماً بإن الجمعية العمومية كانت تحتوى على الالآف من النساء من جميع طـبقات المجتمع٠٠ وكنت صـاحبة الدعوة فى تأسيس هـذه الجماعة (*) غير أن غيـاب مشاركة العـائلة المـالكة لا ينـف وجود علاقـة بين السـيدات المسلمات والقـصر، علماً بأن زينب الغزالى بـتفتحها وإدراكهـا الطبـيعة المـرحلة حـاولت أن توسـع دائرة

(*)فى الجلسة الأولـى قدنجد :اجتمعت عضوات السـيدات المؤسسات لهذه الجمعية المباركة الرابعة بعـد الظهر بمنزل حضرة الأمينه السيدة المحترمة «زينب الغزالى»، وقد أجريت عملية الانتخاب بعد تكوين الفكرة حسب قـانون الجماعة المعروف لجميع الأعـضاء» فأسفرت عن حـضرات الأتى أسمـائهن : الانـسة صاحـبة الدعوة زيـنب الغزالى الجبـيلى رئيـسة، وفاطمـة توفيق سكرتيرة الـهيئة الادارية، وزينب سليـم أمينة الصندوق، بالإضافـة الى ١٤ عضوة آخرى ، وبذلك يكون مجموع أعضاء جماعة السيدات المسلمات فى الجلسة الأولى ١٧ عضوة، قـدمن - بلا شك- عملاً جليـلاً، وساهمت لأول مرة فى التاريخ الاسلامى فى عمل تنظيمى للنساء المسلمات. فتميزت بـهذا العمل عن الرجال، وكان ذلك كـله فى ظل وضع صعب تمر به الأمة الاسلامية أنذاك ٠

التعامل مـع كل الهيئات والمؤسسـات، وقد دفع هذا إلى الجمـع بين العمل الخيـرى والاجتماعى والـعمل السيـاسى، وذلك إنطلاقاً مـن قناعة أساسـية هى أن الدين الرسـلامى فى شموليـته لا يتوقف عنـد عمل بعيـنه ولكنـه يحوى جمـيع أفعال الـسلوك البـشرى بأوجـهها المختـلفة. وحين نـقول : أن هناك عـلاقه كانت آنذاك بين السيدات المسلمات والقصر، فإنه من الضـرورى تحديدهـا حتى لا يـفهم الـقارىء معـنى مخالفاً لطبيعة تلك العلاقة التى لم تكن علاقة تبعية، ولا خضوع، وإنما علاقـة حددتها سلوكيات الـسلطة آنذاك؛، فقـد قوبلت أفـعال الملك بـالترحيـب حين كانت لصالح الشعب، ورفـضت وبشكل مباشر حين تحولت إلى العكس من ذلك، لكن لماذا تأخذ جماعة السيـدات المسلمات مثـل هذه المواقف، وما علاقـتها بالعمل السياسى ، لنترك الحاجة زينب تتذكر.

* الجلسة الأولى ... وفلسطين :

« ... قبل أن نتطرق الى علاقة السيدات المسلمات بالملك، علينا أن نبلغ القارىء بموقف السيدات المسلمات من أول يوم فى تأسيسها، ففى الجلسة الأولى، وبعد تكوين مجلس ادارة السيدات أول عمل قمن به فى الاجتماع الرسمى ونشر فى الصحف بتاريخ ١٣ يوليو ١٩٣٧ هو الاحتجاج الصارخ على تقسيم فلسطين، وأرسلنا هذا الاحتجاج أيضا إلى الجهات المختصة، إذن فعند البداية كان العمل السياسى مختلط بالعمل الاجتماعى ويتعذر الفصل بينهما ،ونلاحظ فى كلام الحاجة زينب، إن المسألة الفلسطينية، منذ أن بدأت كانت تتعلق بمصير أمه، لذلك حين تخلت عنها مختلف أجنحه الأمة ضاعت فلسطين وهو ما يعني ضياعنا جميعا، وقد كانت - ومازال- تمثل القضية الأساسية في حياة الحاجة زينب الغزالى ، فهى حينما تذكر فلسطين لا

تذكـرها إلا والآهات الزفـرات تتصاعـد من قلبـها، والدمـوع فى عيـنيهـا، لإحساسـها بعـد هذا العـمر الطـويل أننا نـبتعـد يوماً بـعد يوم عن تـلك الأرض الطيبة، وليس صدفة أن يـكون أول أجتماع للسيدات المسـلمـات هو مـن أجل الاحتـجاج عـلى تـقسـيم فلـسطين، لـقد كانـت بالنـسبة لـهن هى أولـويات الأولويات وأولى القـضايا، وتتقدم عن كل الـقضايا الاجتمـاعية الأخرى فـى مصر مهـما كانت شـائكة وصعبـة،لذلك من الطـبيعى أن تحـزن الآن، .ونحزن معها على هذا التحول الذى أصاب الأمة الإسلامية، لعـل الشعور بـالحزن يدفعـنا يومـاً الى العمـل بدل الاستكانه والخضوع الذى نحن فيه الأن ·

لقد كـانت الأمة جميـعها، وهى فـى لحظات ضعف أكثر من الآن، فأغلب الـدول العربية محتلة، والباقى تحت الانتداب، والقوى الخارجية فى جبروتها وطغيانها تدعم اليـهود، ومع ذلك فقد رفضت الأمة

قرار التقسيم على اعتبار أن فلسطين عربية مسلمة، ولا بد أن تبقى كذلك، لكن الأمر اختلف الآن، فكل الدول العربية يفترض إنها مستقلة، وتملك ثرواتها وجيوشها، لكنها توجه جهودها لتجويع إخوانها ومقاتلتهم، وعلى المقابل من ذلك تقوم بنصره اليهود أعداء الله علانية، سواء بالاعتراف بهم أو بالتبادل التجارى، أو الاعتراف بحقهم فى أرض فلسطين، وهذا لا يصيبنا نحن أبناء هذا الجيل فقط، بل إنه أصاب أبناء الجيل السابق، خاصة إمرأة داعية مثل الحاجة زينب الغزالى، التى عايشت لحظات الانكسار والسقوط والهزائم المتكررة لهذه الأمة، لهذا ومن طبيعى أن نحزن حين نذكر فلسطين ، حزن لا تستطيع الكتابة وصفه.

*** اللقاء الأول بالإمام حسن البنا :**

لكن هل قضية فلسطين فقط هى التى مثلت الاهتمام السياسى لزينب الغزالى وجمعيتها، هذا

السؤال دار في ذهني، وأنا أعايش لحظات الحماس للحاجة زينب وهي تتكلم عن واقع الأمة، وكان عليَّ أن أسألها عن رأيها في نظام الحكم وعن مواقفها السياسية، هل إنشائكم لجمعية السيدات المسلمات كان الهدف منه عدم مواجهة النظام من ناحية، والاهتمام فقط بالقضايا الإجتماعية من ناحية أخرى ؟

نظرت إلي، ثم ابتسمت، وبحكم المعايشة صرت أعرف أنها إذا ابتسمت فإن الإجابة ستكون هادئة في البداية، ثم يبدأ الصوت في الارتفاع بلسان عربي فصيح، وكأنها تخطب في مركز السيدات المسلمات، والابتسامة عند الحاجة زينب ، هي - في ظني- بداية نزول المطر في الشتاء لنستقبل ربيع أجمل، والخير دائماً أتوقعه في ابتسامتها، أما إذا قطبت جبينها وغابت الابتسامة، فإن لحظات الجد قد حانت، وإن بداخلها بركان غضب ،وعلى العموم،فإنها في لحظات القلق كما هي في لحظات لا

تفارقها مشاعر الود،فالأمومة لكل الناس طبعاً ترسخ فيها،وهي بالتأكيد صادقة في شعورها حين قالت لي يوما ما حين سألتها هل لك أولاد فقالت : « لقد أراد بي ربي خيراً حين جعلني عقيما، ذلك لأتفرغ لأمور الدعوة وليكون الكل أبنائي ... » وفعلا فقد فرغت نفسها للدعوة، وأصبح أبناءها وبناتها بالمئات، وصدقوني إن قلت لكم، إننا في لحظات كثيرة نحن نجالسها أو نحادثها نشعر بأنها أقرب الينا من والدينا، أما في كل حين فهي في مستواهم..، وهذا الشعور لا يتأتى إلى من النفوس إلا إذا أحست بالتآلف مع القلوب، وهذه الحالة لا تخصني فقط، ولكنها عامة لكل من جالسها واستمع إليها، ألم يكن الجنرال ضياء الحق يناديها بيا أمي وغيره كثير وبالتأكيد هم صادقين في مشاعرهم، لأنهم لا ينتظرون منها مالاً أو جاهاً أو سلطة إنها محبة خالصة لله، وتلك المحبة هي التي أقامت الحضارة، وبنت الإنسان، وجعلت

الإسلام يصل إلى كل بقاع الدنيا، وحتى لا نطيل على القارىء نعود إلى إجابتها بعد الابتسامة فقالت:

« ... صحيح إن إنشاء وتأسيس جماعة السيدات المسلمات هدفه سياسى، لكن قبل ذلك أيضا كان لي مواقف سياسية، فقد كنت أكتب فى الجرائد وأنقد الحكام وأؤيد أحزاب وأعتزل أخرى، وفى ذلك الوقت حين أنشأت جماعة السيدات المسلمات كنت أؤيد حزب «الوفد» برئاسة مصطفى النحاس باشا، وآنذاك كانت الهيئة الاسلامية الوحيدة هى الأخوان المسلمين، وحين أنشأت السيدات المسلمات، كان نشاطها الإخوان لا يزال محصوراً فى مدينة الاسماعيلية وما حولها وبعد تأسيسها بسنوات جاء الشهيد حسن البنا الى القاهرة، ونقل المركز الرئيسى إلى القاهرة، فى حين كان يسمى « حى الناصرية» - يقع بين عابدين والسيدة زينب والمنيرة وهذا كان وسط البلد آنذاك . وأعلن عن محاضرة

لحسن البنـا فذهبت واستمعت لهـذه المحاضرة، وعند ذهابي للجناح الذى فيه السيدات، جاء رجل وقال إن حسن البنا يريد أن يسلم عليك . . . . ».

توقف الحاجة لحـظة لتسترد أنفاسهـا، ولتتذكر لقـائها الأول بـالإمام حسن البنا- رحـمه اللـه- ثم تواصل: « جـاء حسن البنا، وسـلم على، فقـلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً، وقد جـئت أستمع لمحاضرتك، وقال لى بعدها أريد أن نلتقى بك ثانية ولنناقش بعض المسائل، فأجبته بقولى : ليكن كل منا عند حسن ظن الأخر، فأبتسم وقال لى: « . . وهو كذلك . . . ».

وأسألـها هل التـقيتمـا بعد ذلك ؟ وكـيف ؟ تجيبنى على الفور:

« زارنى بعذ ذلك عدة مرات فى مركز السيدات المسلمات، ورغم مشاغله الكثيرة كنا نتحدث عن أمور السيدات المسلمات، وجـميع الأخوات المؤمنات، فى

مستقبل الدعوة الإسلامية، وكنا نرى أن الدعوة الإسلامية لو اتحدث صفاً ورأياً وفكراً لأفادت العالم الاسلامى فائدة كبيرة، ولا نستطيع الوصول إلى ذلك إلا بوحدة الصف والكلمة، .. وكان البنا - رحمه الله- يعتقد أن نجاح المرأة فى الدعوة، إنما هو أساس نجاح الرجل، لذلك كان يهتم بها كثيرا، لأنه فى إعتقاده أن هذا هو الأمر الطبيعى لاحتضان الدعوة من الرجال...»

وهكذا يتضح أن السيدات المسلمات بدأت منذ نشأتها المشاركة فى العمل السياسى وهذا أمر طبيعى مادامت تقودها شابة داعية، فيها صبر النساء وشجاعة الرجل، وبداخلها حب دين الله، ولهذا كانت أولى الخطوات هى الالتقاء بالإمام البنا، وسارت على هذا الطريق إلى الآن، ولم يثنها العذاب والسجون، ولا ذل الحكام، عن التراجع عن هذا الطريق.. طريق الإخوان المسلمين .

* الآختلاف مع الملك فاروق :

لنعد إلى الظروف التى أنشئت فيها جماعة السيدات المسلمات، فقد كان يحكم مصر آنذاك الملك فاروق، وكان حسب قول الحاجة زينب رجلاً مجاملاً، إذ كان يتعامل مع هذا التنظيم الجديد بالحسنى، فمثلاأرسل له مركز السيدات المسلمات فى أول أيام نشأته- دعوة بمناسبة المولد النبوى الشريف، فرد عليها بإرسال الإمام الخاص بالحضرة العليا الملكية، وهو المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى، وسار على نظام المجاملة حتى أنتقل الى خالقه.

ولكن هل سارت الأمور بين السيدات المسلمات والملك فاروق على هذا النحو؟ توجهت بهذا السؤال إلى الحاجة زينب، بعد أن استراحت قليلاً من شرحها المطول عن ذكرياتها ونشاطاتها التى سجلتها فى أكثر من موقف، فقالت :

« . . . بعد موت الملك فـؤاد وحين وصل إبنه فاروق إلى السنَ القانونية عاد من فرنسا وظهر بمظهر إسلامى غأرسل لحـيته، وكان يجالس الشـيخ المراغى شيـخ الأزهر ليعـطية دروساً فـى الدين، وتبـع ذلك بصلاتـه المتكررة فى المسـاجد، وحين كان يمر مـوكبة أمام مركـز السيدات المـسلمات وهـو فى طريقـه إلى الصلاة كن نضع له بوابة خاصـة للترحيب به،وعندما تزوج«فـريدة» ذهب وقد مـنًا وبارك لـها، وقلن لـها يشرفنا أن تكونى من السيدات المسلمات فردت علينا: يشرفنى أنا أيضا أن أكون مـعكن . . . وكانت علاقتنا مع الملـك فاروق فى البـداية طيبـة، الى أن أختلـفنا معه، والسبب فى ذلك، أنـه حين عاد من فرنسا كان الشيخ المراغى مصاحب له باستمرار، ويصلى كل يوم جمعـة فى مسجد من المـساجد وقالوا أنه يـدعو إلى الخلافة، ثم فوجئنا به بعد سنوات قليلة يحلق لحيته، ولا يجـالس المـراغى، بـل صار لا يـقابـله إلا فـى

المناسـبات الرسميـة، علماً بـأنه كان مأخوذا بـأفكار الشيخ المـراغى إلى درجة أنه كان يتـصور أن الخلافة الاسلامية ستـنطلق من مصر وطبعـا ماكان الاحتلال الإنجلـيزى سعـيداً لذلـك، وظل يوسـوس للمـلك وسوسة الشيـاطين، حتى إعتزل الملك لـقاء المراغى، وصار لا يصلـى صلاة الجمعة فى المسـاجد، وكانت البلد كلها تتألم شديد الألم لما وقع للملك، وشاعت عنـه السـهرات الخـاصة بـعيـداً عن مـقام زوجـته، وأصبحت له أمـاكن خاصة يجتمع فيهـا مع النساء، ومن الطبيعى نتيجة لكل هذا أن ينقلب ولاء السيدات المسلمات فانقلبن عليه، وصرت أشنُ حملات ضده، وأقول فى اجتماعاتى فى المركز وفى المساجد أن الملك وعد الـشعب وأخـلف وعده وأن الملـك كان يصـلى الجمعة، فأصبـح لا يصليها لقد ترك مجـالسة الشيخ الفاضل المراغى، وعاد جلساته رفقاء السوء، لقد جاء برجـل من إيطـاليا يـنظم جلـساته، واجـتماعـاته،

وخصوصاً سهراته، إن هذا الرجل جعل كل الشعب يقف ضد الملك؛، ولم يعد لنا وللشعب صلة بالقصر منذ أن سلم الملك أمره لهذا « الأبوللى» .(*)

إذن موقف السيدات المسلمات يأتى دائما كرد فعل عن موقف الملك سلباً أو إيجاباً، فليس هناك عداء للملك ولكن لمواقف الملك، تلك المواقف التى تحسب طبقا لضوابط الشرع، ولهذا كان من الطبيعى أن تشن عليه السيدة زينب الغزالى حملة إضطرته الى دعوتها الى القصر. تسرد الحاجة زينب تلك الحادثة على النحو التالى فتقول :

(*) أنطونيو أبوللى ، رجل ايطالى أحضره الملك فاروق ليشرف على سهراته الخاص، وبما أن الملك فاروق كان يحب النساء، خاصة الراقصات، الفرنسية بيى بيرير التى حضر فعلا لها باحدى الملاهى بالقاهرة وامر أبو للي بإحضارها له فكان له ذلك وفى قصره أخرج الملك مسدسا وقال لها: بهذا المسدس أقتل أية أمرأة لا تخلص لى، فردت أنى ببساطة : أذن من الأفضل أن تقلتنى الأن، لأننى غدا سوف أخونك ...».

« ... حين بدأ الاختلاف مـن الملك فاروق، كان عمر السيدات المسلمـات سبعة أو ثمانية سنوات، وكان أتباعنـا لا يقلون عن مليون سيـدة، السبب هو تخليه عن الإسلام وفى هذا الوقت أرسل الينا الملك، وزيره اسمـاعيل باشا تـيمور، الذى اتصـل بى وقال لى: أريد أن أشرب معك فنجـان قهوة فهل تزوريني في بيتى أو أزورك فى مكتبك، وكان فى ذلك الوقت سكنى مجاور لـسراى إسماعيل تيمور فأبـلغته: أننى سأذهب اليه، والتقيت به فى بـيته بالحلمية الجديدة. وسألنى: لماذا تغير موقفـكم من جلاله الملك، فقلت له: لأننا جماعـه تلتزم بالقرآن والسنة، فـعندما أعلن الملك أنـه ملتزم بـالقرآن والسنـة كنا معـه، ولما جاء بأبولـلى من إيطـاليا لينـظم له مقابـلاته واجتمـاعاته خرجن عـلى الملك، فـقال الملك يطـلب مقابـلتك، فقلت: لا مانع عندى، وحدد لى موعداً بعد يومين- على ما أذكر- فـذهبت لمقابلة الملـك، ودخلت قاعة

التشريفات، وفتح لى باب فى تلك القاعة، فدخلت، فوجدت الـملك، أمامه طاولـة صغيرة عـليها صيـنية شاى، فصافحته، فقال: أنـت زينب الغزالى، فقلت نعم، فقال: تفضلى،وجلـست أنا فى ناحية وهو فى ناحـية أخرى وسـألنى عـن حالـى وحال السـيدات المسلمات فأجبته، ثم قـال: أنت كنت معنا فما الذى جعلك تتكلمين ضدنا فى المساجد، وفى الاجتماعات المزدحمه بالنساء؟ فقلت له ياسيدى الملك: حين جئت من الخارج عفـوت عن لحيتك وكان بجانـبك المراغى شيخ الأزهرفأحببناك، وأعتقدنا أن سرك كظاهرك، ثم خصمناك فى لله، فقال وما الذى دعا الى المخاصمة؟ قلت: لقد جـئت برجل من إيطاليا يـدعى أبو للى، ليـنظـم لك استـقبـالاتك وسـهراتك، وأسـتبـدلت مصاحبتك للمراغى بآخرين، ومادام الوضع قد تغير، فمن الطبيعى أن يتغير سلوك المسلمين معك.

فقال لى: ولكن الولاء الى واجب، فقلت له:

واجب رسمـى، ولكن بقلوبـنا وبضمائرنـا وأرواحنا وبمشاعرنا كلها فلسن معك إلا حين تكون مع الإسلام فنظـر إلى ثم سألنى : أهـذا رأيكم؟ قلت لـه نعم، وعندما يعود الملك فاروق الذى كان عزيزاً علينا وأملاً من آمالنا وحلماً من أحلامنا إلى ما كان عليه يوم عاد من الخارج سنعود إليه.. ونفتح له صدورنا وسيكون فى قـلوبنا فـقال لى: أنت جـريئة وتهـاجمنى بـهذه البلاغة، فقـلت له: وكنت أؤيدك بهذه الـبلاغة التى تظنهـا كذلك قبل أن يأتى أبـوللى من ايطالـيا، فقال لى: شكراً، وأدعو الـله أن يهدينا جميعـا، فقلت له أرجو أن يـجمعـنا الـله علـى حبه وطـاعتـه ووقف فصافحته.. وانتهى اللقاء...».

حين نعود لـنتأمل النقاش الذى دار بـين السيدة الداعية زينب الـغزالى آنذاك، تتجلى لنا حـصيله من الحقائق، الأولى أن النقاش كان بين ملك وداعية دون خوف وبكل جرأة وهذا يبين مـستوى الوعى فى تلك

المرحلة، وثانياً محاولة الملك فاروق معرفة رأي الناس عنه وسبب مهاجمته، فهو هنا لم يكتف بالتقارير التى كانت تجمعها عناصر أجهزته بالتأكيد وربما حاول أن يعرف مباشرة دون وسائط، وثالثا : ليس هناك سيطرة فى الولاء له، فهو لم يرد- كما لاحظنا- بإجبار المواطنين على الولاء له، وإن كان قد اعتبر هذا واجبا، ورابعا، وهو الأهم- فى نظرى- تدخل الرعية فى تقويم سلوك الملك، أى أن هناك رقابة شعبية عن الحاكم إن جاز التعبير ولم يعترض على هذا التدخل، وهذا يثير عدة استفهامات حول طبيعة السلطة وعلاقتها بالشعب آنذاك؟ فإذا كنا لا نستطيع الآن أن نسأل حكامنا فى ظل الأنظمة الجمهورية والديمقراطية، فكيف يمكن مساءلتهم فى ظل الأنظمة الملكية، خصوصا وأن فاروق كان أحد الملوك الذين انفردوا بالطين والضياع ولذلك كان آخر ملك يحكم مصر، وبعدها ودخلت البلاد فى النظام الجمهوري

بعد انقلاب ٢٣ يوليو التى قام به الضباط الأحرار، ويبدو أن الحاجة زينب الغزالى، حين كنت أنظر اليها، وأنا صامتة لمست مايدور بذهنى، فقالت لى دون أن أسألها« ... وعلى العموم ، فقد بقى ملكا حتى عندما أصبح ظالما لنفسه كانت له كرامة الحاكم» وصمتت لحظة، ثم أضافت بصوت غاضب وكأنها تحت سياط العذاب في السجن: « .. ولكن انتقلنا من كرامة الحاكم الى خسة حكام لا يعرفون كرامة الحكم، بعد ذلك...» .

ولكن ما الذى ترك الملك فاروق يتكلم باللين مع زينب الغزالى الجبيلى، مع أنها كلنت تهاجمه فى المساجد؟

ترجع الحاجة زينب ذلك الموقف الى الحجم العدوى للسيدات المسلمات آنذاك، حيث تقول «.. فى ذاك الوقت الذى طلب الملك مقابلتى، كان يستمع إلى فى الأسبوع مالا يقل عن مليون سيدة، ويستمع

لمجموع واعظات السيدات المسلمات مالا يقل عن إثنين(٢) مليون سيدة، حتى أننا كنا فى « طنطا» حين نبدأ فى الدرس من مسجد المنشاوى يقفل الطريق، ويغير سائقوا الأتوبيسات اتجاههم، وهذا يعنى أن الشعب كان متعلقاً جداً بدروسى وبدروس الواعظات عموماً، لذلك نصحه مستشاروه بأن لا يحاربنى، وبالرغم من غضبى الشديد منه ولنتقادى اللاذع له نحتفل بعيد ميلاده، وكنت أقول دائما فى تلك الاحتفالات: أننا ندعو الملك وبحضور مندوبه الخاص أن يعود إلى ماكان عليه فى البداية، وبعد أن انتقل عبد الله بك عفيفى إمام الملك الخاص الى رحمه الله انقطعنا عن الاحتفال بعيد ميلاده، وعيد توليه العرش وضاعفنا مهاجمته، من خلال حوالى عشرة حصص كانت تقدمها عشرين واعظة بمسجد الأوقاف وكنت أنا أقدم ما بين سبعة وعشرة محاضرات، وفيها كنت أركز على أخطاء الملك وكيف تحول من تلميذ لشيخ

الأزهر مصطفى المراغى الى تلميذ لشياطين الجن والإنس من الغرب ومن داخل مصر ..».

*** الملكة فريدة ... امرأة عظيمة :**

كلام الحاجة زينب السابق يفهم منه - فى رأيى- مسألتين، الأولى تتعلق بدور الدعاة وتوجيههم لحركة الشارع، وتأثيرهم فى صنع الأحداث، فوجود مليوني سيدة تستمتع للمحاضرات فى التراب المصرى،كان سيجعل الأمور صعبة فى التعامل مع الشارع، فغلق المركز أو توقيف زينب الغزالى عن المحاضرات والنشاط لن يسقط النظام الملكى ولكنه أيضا لن يجعل الأمور تستقر، وخير مثال على ذلك هو حل جماعة الإخوان المسلمين، هل أوقف النشاط فى مصر بل جعله يتسع ويأخذ البعد العالمى، ناهيك عن دور المرأة وفاعليتها فى صنع القرار السياسى،وهو ما نحتاج إليه الآن، شريطة أن لا يكون مشاركة فى عروض الأزياء أو حفلات الرقص، والقول بعد ذلك

أن المرأة تشارك فى العمل السياسى . وهـذا يعنى أن الدعاة رجالاً ونساء تـقع عليهم المسئولية الكبيرة فى توجيه الحكام لأنـه يخافـهن أكـثر مما يخـاف قوة السلاح، فقط لأنـهم يعرفون جيدا متـى يقولون لا، وقد قـالت زينـب الغزالـى : لا، صراحـة للمـلك فاروق، وقالت: لمن جاءوا بعده، وهى تعلمنا الآن: أن نقول ذلك دائـما، وحتى دعت الضـرورة لذلك، ولـم تكن مواجهتها لتحـقق أهدافاً شخصية لها، ولو أرادت ذلك لـسارع اليـها الجميـع، ولكن مـن أجل إعلان كلمة الله- التى امـنت بها، وضحت وما تزال على اسـتعداد للـتضحية مـن أجلها. وهـى فى هذا العمر وقد تجاوزت ٧٥ سنة .

والمسـألة الثانـية : تتـمثل فـى الوعى الكـامل بالدور والرسالة التى عليها تبليغها، خصوصاً بعد هذا العدد الـهائل من المـنتسبات إلـى جماعة الـسيدات المسلمات،وما لهذه المشاركـة من تأثير، سواء كامتداد

طبيعى فــى عمق المجتمع للنساء المـشاركات، وكقوة تواجه وتـؤثر فى الأحداث، وهذا يعـنى أن المرأة إذا دخلت فـى حرب لمواجهة الحـاكم، أو القضـاء على التخلـف، فإنه يتعذر عن الـسلطة القائمـة المواجهة. لأن حماس النـساء لأى موضوع سيجعـل منه حدث يومى يتحيا داخل كل بيت.

وهو مـا نلـحظه الآن فـى جمـيع مـجالات حياتنا، من ذلك مثلاً الحـجاب الذى ليس عاماً لكل نساء المجـتمعات الإسلاميـة ومع ذلك يُشكل حـديثاً يومياً فى حياتنا سواء رفضاً أو قبولاً، فقط لأن الأمر يتعلق بالنساء، لهـذا أقول أن زينب الغزالى كانت فى ذلك الوقت سابقة لعصـرها بمراحل،وإلا كيف نفسر استقطابها لهذا العدد مـن النساء فى ظل مجتمع المرأة فيه اما جاهلـة أو مستغله فى نشاطات بعـينها وأيضا كيف نفسر الطرح الســابق لزمننا إذ المرأة الآن وحتى فى مواجهتها للسلطة تحركها القوة الرجالية، فى حين

كانت السيـدات المسلمات هن اللائى يـحركن الرجال وحتى عـندما كانـت زينب الغزالـى فى تنظـيم هدى شعراوى كـان فعلها واضحـاً جلياً، وقد تمكـنت من تغـييـر عقـليـة الملكـة فريـدة وقبـول هذه الأخـيرة لشروطها، ولتتابع ذلك، وهى تحـدثنا عن علاقتها بها تقـول: « ... صلتنـا بالملكـة فريدة كـانت عميـقة وعلاقتها بنا طيبة جدا ومازلت أذكر أنها سنة ١٩٤٤- وفى الحرب الـعالمية الـثانية - كـانت رئيسـة الأعمال الخيرية والمعينـة للحلفاء- وهى منظمة شبـيهة بالهلال الأحمر - وبما أنهم رأوا أن السيدات المسلمات جمعية كبـيرة جـداً ولها نـشاط واسع ومـتزايـد، قرروا أن يدعونى للمـشاركة فى مجلس ادارة الهيئـة، فقبلت، وقابلتنـى الأميرة « نعمة مختار» عـمة الملك فاروق، ودعتنـى للغذاء فى قـصرها، وقالت لـى: نرجو أن تنضـمى إلينـا فى نشاط خـدمة المهجـرات فأجبتـها بالموافقة فقالت ماذا تستطيعين أن تؤدى من خدمات .

فقلت : أحاضر للمهجرات وفعلا كنت أحاضر مابين ثلاث وأربع مرات في الأسبوع، وكانت الملكة فريدة رئيسة شرفيه للهيئة وأيضا كانت السيدة هدى هانم شعراوى عضو فيه... ولما انتصر الحلفاء، أقامت مصر احتفالات كبيرة لهذا الانتصار، واقامت الملكة فريدة أيضا احتفالا بمناسبة عودة المهجرات الى أوطانهن، وكنت من بين المدعوات، وقبل لقائى الملكة أبلغونا أنه سيحضر من يعلمنا كيفية السلام على الملكة، وقالوا لنا أنه من التعليمات أن من يسلم على الملكة لابد أن يقبل يدها، فاعتذرت عن الحضور، لأن تقبيل يد الملكة في نظرى يعنى ولاء لعهد يحكم بغير الإسلام، وأنا لا أعطى ولائي الشخصى- وإن كنت لم أعلن ذلك ويعنى في قلبى وضميرى- لمن لا يحكم بالإسلام وسبب اعتذارى حصلت أزمة، وقالوا أن السيدات المسلمات لن يحضرن إلى هذا الاحتفال، لكن الملكة فريدة قالت

تحضر زينب الـغزالى وأنا سأتصرف معها بـطريقتى، ولما جاء دورى لأسـلم عليها، وكـنت الثالثة - فـيما أعتقـد- بعد الأميرة نعـمة مختار، وهـدى شعراوى أخذتنى في حضنها وسلمت على فقبلتها من وجنتيها وانتهـى الأمر وكان تصرفـاً جميلاً وعظـيماً للمـلكة فريدة...»

حين يعيش الإنـسان للمبادىء السامـية يرفض احتـوائة مـن طرف الآخر، وزيـنب الغـزالى كـانت كذلك، وقد رأينـا من خلال حديثها السابـق نظرتها إلى الحكام حين يكونون بعيدين عن الدين، فهى على أستعداد أن تقبل الأيادى عـلى أن يكون هذا من أجل دين الله، أما الالتزام بأوامر الحكام فإنها تنفذها طبقاً لحاجـة المجتمـع الاسلامى لـها. ولـكن هل كـانت علاقتهـا مع الملكة فريـدة فقط على هذا الـنحو؟ إذا كانت كذلك فمعنى هذا أنـها لم تحاول ان تجعلها فى صـف الدعـوة، ويعـنى أيـضـاً أن دعوة الـسيـدات

المسلمات لم تصل إلى بعض فئات المجتمع ولتتضح الصورة ونعرف إجابة السؤال السابق، ندع الحاجة زينب تتحدث:

« .. كانت لنا علاقة قبل ذلك بالملكة فريدة، فعندما تزوجت الملك فاروق قامت السيدات المسلمات بإحضار« لافتة» والكتابة عليها بماء الذهب مايلى: أنت القوة التى باستطاعتها أن تدفع الحكم فى مصر إلى إقامة الشريعة فى مصر، والعودة بالحكم إلى كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولهذا جئنا نحييك بهذا الزواج» فلما أردنا الخروج قالت« ادعى لى»، وبالنسبة لى شخصياً فحين ذهبت أهنىء بالزواج قلت لها: أنت الآن تاج فى رأس مصر، ونريده أن يرتفع بلا إله إلا الله، وحده لا شريك له وذلك عندما تساهم الملكة فريدة بعمل إسلامى فى عودة الشريعة الإسلامية الى هذا القصر، الذى تصدر منه الأحكام والمراسيم والقوانين...»

تتوقف الحاجة زينب لحظة وكأنها تشاهدها أمامها؛ ثم تواصل حديثهـا بشهادة عنها - رحمها الـله - فتقول .. وبما أنها كانـت إمرأة عظيمة فقد طـلقها فاروق وتزوج بأخرى ....».

عندما كانت تحدثنى عن اللافته التى كتبت بماء الذهب لتهنئة الملكـة فريدة ودون أن تخبرني أحسست أنها صاحبة الفكرة ، فـالذى يعرف أو يعايش الحاجة زينب الغزالـى عن قرب يكتشف كل يـوم أهمية هذه المرأة فى حـياة المسلـمين فما أن تـدخل بيتـها تجد نفسـك مجبراً عـلى الخضوع إلـى أوامرها، تغـمرك بكـرمها وحنـانها وحتـى تجسد هذا الحـنان تصحـبة بالـقسم وأعتـقد أن هذا يعـود الى أصولهـا العائلـية العريقـة، فهى من عائلـة غنية عالمة، وتـزوجت من رجل كريم أيضا، صاحب شـركات هو الحاج محمد سالم، ورغم تبدل الظـروف وتغير الأحوال، ما تزال ثابـته فى مكـانها كـأنها شجـرة تعطـى ثماراً علـماً

وأخلاقاً وأدباً وحباً للآخرين فى الله.

كل ما فى حياة الحاجـة زينب ومنذ أن أسست مركز السيدات المسلمات كان له هدف واحد هو خدمة هذا الدين، فقد دفعت بكل ما تملك من أجل تجربتها الرائدة فى مجال الإعلام الإسلامى - مجلة السيدات المسلمات- وحاولت أن تجعل الكل يسيرون على هذا الطريق، ولهـذا نلحظها فى كلامهـا السابق تحاول أن تدفع الملكة فريدة نحو الإسلام، لـقناعتها بأن للمرأة تأثيـر خاص فى حيـاة الرجل، وعلـى نفس النـمط تدفعنـا نحن أبناء هذا الجـيل رجالاً ونساء، وتعـلمنا الشـجاعة ، والمواجـهة، والحب والكـرامة الأنسانـية وتعـلمنا أكـثر أن الاسلام ليـس لحظات حمـاس فى الحيـاة، ولكنـه مشـروع الحياة كـلها ولـذلك يـجب التضحيـة من أجله فى كل زمان ومكـان،لكن ماهى

ياترى علاقاتها بالساسية، فى العالم الإسلامى وماهى ذكرياتها الخاصة؟ هذا ما سنعرضة فى الفصل اللاحق بإذن الله .

الفصل الرابع

« البيعة ، العلاقات ،عشق القرآن »

* الزواج والبيعة .
* الإخوان المسلمون :الواقع . . والحقيقة
* وصية الحاجة زينب للإخوان .
* الملك عبد العزيز ودعوة الى القصر
* بيتها داراً للدعوة الاسلامية
* هوارى بومدين : زعيم يقبل النقد .
* ضياء الحق رئيس باكستان : أمى زينب الغزالى
* مالك بن بنى ، محمد بوسليمانى: زيارات مفاجئة .
* عشقت القرآن حتى عانقته
* فى كل دولة اسلامية زهرة .

هناك ثلاثـة أنواع من العلاقات التى تحـكم الحاجة زينب فى تعاملها مع الآخـرين، العلاقة الأولى بينها وبين جمهـورها- رجالاً ونساء- وطبعاً هـذه العلاقة اتضـحت فى الفـصول السـابقة مـن خلال نشاطـها الدعوى، والعلاقة الثانية : هى تلك التى أقامها معها المفكرون ثم الحكام، قبـولاً أو رفضاً، حبا أو كراهاً، سجنا أو حرية ، أمومة أو تعلماً ٠٠٠ ألخ

وهذا ما سنركز عليه فـى هذا الفصل، وثالث نوع هو تـلك الـعلاقة الـتى بـدأت مع تنـظيـم الإخوان المسلـمين منذ أن التقـت بالإمام «حسن البـنا»، والى الآن، وهذه العلاقة عرفنا جزء مـنها،وسنعرف الباقى فى هـذا الفصل، لـكن قبل هـذا كله يـهمنا تحـديد علاقتـها مع زوجهـا الحاج سالـــم، ذلـك الرجل الشهـــم الذى وقف الى جـانب نشاطها وجمعيتها ودفع ثمـن ذلك غالـياً - مـن ماله وحياتـه حتى أن المنيـة وافته والحاجة زيـنب في السجـن; بعد أن أمم

جمال عبد الناصر جميع ممتلكاته .

* الزواج والبيعة :

سألت الحاجة زينب عن مهرها من الحاج سالم؟ وقبل أن تجيبنى نظرت الى صورته التى كانت مقابلة لها فى أعلى المكتبة، وكأنها تسترجع ذكرياتها معه، وهو أهل لذلك حسب مواقفه التى عرف بها، ثم نظرت الى وقالت :

« الحاج سالم - رحمه الله - دفع مهراً، ولكننى لم أحدِّده، وكان الأساس فى موافقتى على الزواج، هو: هل أنت موافق على بقاء الجمعية ونشاط الدعوة؟ فإذا كنت موافق فذاك مهرى، وقال لى : موافق على ذلك، فقلت هذا مهرى، وإن كان قد دفع مبلغاً رمزياً ، لكنه وفى بما وعد وتحمل من أجل الدعوة الكثير .

وتسكت الحاجة بعد هذا وتمنيت أن تضيف لتأكدى

- وبحكم المعـايشة - إن هذه الداعية الكـبيرة مايزال في جعبـتها الكثير مـن الأسرار، لكنها عـاشت تلك اللحظات في قدسية الصمت وكأنها ترى في الصمت ملجأ من ذكريات عبرت بـخيرها وشرها، وكان علىّ أن أحاول الكشف عنها؛ فأزعجتها بالسؤال التالي : أهكذا تمت موافقتك دون شروط أخرى؟ وتجيبني على الفور: «بـل طالبت مـنه أن يبايـع الأمام البنـا، وقد كنت بايعته سرا، فاكتشـفت أنه هو أيضا مبايع له في السر».

إن الكلام الـسابق يدل علـى أن الدين يتـقدم عن الحياة، وحين يكون الإختيار بينهما تفضل الآخرة عن الدنيـا ، وهذا واضح في كـل مواقف الحاجـة زينب الحياتيـة ، لذلك لا يستطيـع القارىء معرفة انتـمائها للأخوان المسلـمين إلا إذا عاش معها في زمن الـتعبير عن قيمة الأخوان المسلمين، فهي تراهم حماة الدين، ورجالـه، والمجاهديـن من أجله مـنذ أن ظهـروا الى

الآن، وتراهم أيضاً القوة المؤثرة والمغيِّرة فى المجتمع التى تتصف بطابع الديمومه، وهذا يجعلنا نطرح السؤال التالى: ألا يعترى الإخوان المسلمين باعتبارهم تنظيم التغيير؟ وبمعنى آخر ألَمَ تَتَغيَر خطتهم منذ أن ظهروا إلى الآن؟ كان هذا السؤال يقلقنى، وتَرَدَدَت لحظات قبل طرحه على الحاجة، لكننى وجدت من الضرورى طرحه، لأنه من حق القارىء أن يعرف وجهة نظرها فيما يخص هذا الموضوع، وكانت إجابة الحاجة زينب خروجاً من التردد :

« خطة الإخوان المسلمين لا تتغير، ولا تتبدل، ومن المستحيل أن يقع لها ذلك ، لأنها حركة واحدة، أخذت مواقفها من الكتاب والسنة، والكتاب لا تتغير أحكامه ولا تتغير أغراضه، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى أنزله ليسير العالم بحكم ربانى حتى تقوم الساعة، وهو حكم - بلا شك - لإصلاح العالم إلى قيام الساعة، ونحن معشر الإخوان المسلمين لا نغير

الطريق ولا نـغير المسيرة، لأنهـا مسيرة الله سـبحانه وتعالى، والبرنامج المستمد من كتاب الله لا نملك حق تغييره، مـادام الله تعالى، هو الذى أنـزله وأمرنا أن نحكم به، ولننظـــر الى قـوله تعالـــى«ذلك الكتاب لا ريب فيه هـدى للمتقين٠٠«الـبقرة الآيه (٢)» ٠٠ إذن فهـو الهدى المـبين لطـريق الصـواب حتى قـيام الساعة»٠

وتبدو نظره الحـاجة زينب لفكر الإخوان المـسلمين وأطروحاتهم مليئة بالحـماس، والحب والقناعة، وهكذا يختلط الفـكر بالإنتماء الى التنظيم، وهـو ليس انتماء من منطلق حـب التنظيم ولكن إنتماء مـباشر للدين، فالتنظـيم هنا- أي جماعة الإخوان المسـلمين - مجرد وسيلة لتحقيق شرع الله، وكل هذا مقبول، من حيث الاندماج والانتماء، لكن ألم يتغير المنهج؟ والإجابة - كما سنرى - تحدد فـهما خاصا بمسألة التغيـير، لنتابع ذلك فى إجابة الحاجة زينب الغزالى :

* الأخوان المسلمون الواقع والحقيقة:

تقول الحاجة زينب « ليس مهما المنهج، لكن فى نظرى المهم، هو الهدف أو الغرض منه، وأعتقد أن غرض التغيير بنفس الأسلوب الذى اتبعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مايزال قائماً، ولا يمكن أن يتبدل، لأنه مأخوذ من أصول الكتاب وأصول السنة ولكن النظم الجاهلية الحاكمة للعالم الإسلامى كله- بغير استثناء، لا تريد أن يعود النظام الإسلامى، لأنها عميلة للغرب والشرق الكافرين وهذه العمالة تقتضى من حكام العصر أن يكونوا مأمورين لا آمرين، تابعين لا متبوعين ، وبما أن طريق الإخوان المسلمين هو القرآن الكريم والسنة والكتاب كما ذكرت الآية السابقة « .. لا ريب فيه هدى للمتقين » فمن المتقون ياترى ؟! أهل التقوى فى الإسلام هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، عن أى شىء استقاموا على نصوص القرآن وأحكامه، وعلى نصوص السنة وأحكامها، وبما

أن السنة هي الشارحة لـلقرآن. فلا شارح بعدها، أي لا شارع بعـد البيان النبـوي، ونحن عبيد لـله، ولن نستعـبد من طـرف البـشر يومـاً، لماذا؟ لأن الـذين استعبـدوا لله هم الذين استـحفظوا على كـتابه، وهم الذين أقاموا كتاب الله، ووضـعوا أرواحهم وأنفسهم في قولهـم « لا إله إلا الله، محمد رسول الـله صلى الله علـيه وآله وسلم ومعـنى اعتقاد الشـهادتين، أن المسلم المؤمـن باع لله نفسه ومالـه وولده، وأنه أشترى منه بـقيمة رابحـة، يربح منـها البائع، ولا يـخذل من المشترى، فنحن على طريـق الله وعلى طريق السنة، لا مبدلين ولا مغيرين، ولا ميزيدين ولا حاذفين . . »

وأقوال الحاجة زينب السابقة تدعونا ثانية الى طرح أسئـلة جديدة، ونجـد الحاجة دائمـاً على الاستـعداد للإجابة، ومن بين هذه الأسئلة سؤال يتطلع إلى تفسير أكثـر لفكر الإخـوان المسلمـين، وفعلـهم السيـاسى والتغير ، ومحتواه: ما مدى تأثير الإخوان المسلمين في

المجتمع الإسلامى ؟

تقول الحاجة زينب : « تأثير الإخوان المسلمين واضح فى المجتمع، ولو قامت الآن فى مصر مثلاً انتخابات حرة بالتأكيد سيفوز فيها الإخوان المسلمين، لأنه لا يختلف معهم فى رأيهم أي كان من عامة الشعب المسلم، وسيظل الإخوان المسلمين قائمين فى المجتمع يقاتلون فكرياً وعقائدياً حتى يزول الباطل من فكر كل مسلم، ويستقر الحق وما نواجهه الآن -نحن جماعة الإخوان المسلمين - هو نفس ما قابلة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم - فى مكة، لكن الباطل زال بعد ذلك، وفتحت مكة وزالت الظلمات واليوم أنظرى يا ابنتى العزيزة إلى مشارق الأرض ومغاربها هل تجدين بلداً فى بلاد العالم لم يخترقها نور الإسلام، وإن كان هذا النور يواجه غلبه ظلمة المنافقين المنسويين للإسلام اسماً وإدعاء لكن نور الهداية آتٍ لا محالة من كتاب الله الأول القرآن

الكريم ومن كتـابه الثانى الذى ألهم بـه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ربه، وأقصد السنة النبوية الصحيحة».

هكذا ننتـقل مع الحاجة زينب من القـضية الخاصة التى بدأت مع شروطها لقبول الزواج من الحاج محمد سالم رحمه الله- الى القضايا العامة المتعلقة بالإخوان المسلمين، وكما نلاحظ فهى حـين تتكلم عنهم تنسى نفسها، وتعيش للقناعـة ولتأثير الأحداث فى حياتها، ولذلـك وجدت نفسـى مضطـره لسؤالـها ثانيـة عن ولاءها لتنظيم الإخوان الذى يراه البعض يفوق الولاء لله، فـتقول: لا،الولاء للـه تبارك وتعـالى هو ولاء للتنظـيم الذى أوقف أصحابه حياتـهم ووجودهم وما يملكون لله رب العالمين،والإخوان المسلمين لا يملكون من أنفسهـم شيئاً، إنما الذى يملك أنفســهم وأموالهم وأولادهم وزوجاتهم ووقتهم ونومهم ويقظتهم هو الله العزيز الحكيم ، فمن أعطى لله ذاته، فقد نأى بنفسه

عن وسوسة الشيطان . . .» .

هذه هى نظرة الحاجة زينب الغزالى للإخوان المسلمين نظرة تحدد الإنتماء وتحدد أيضاً نوعية العلاقة بينها وبينهم، والأسس التى قامت عليها، والتى لم تتزحزح لعقود من الزمن إلى درجة أن زينب العزالى صارت ترى فيهم رمزاً للخير والصلاح، وهذا دفعنى إلى سؤالها عن الأفعال التى قام بها الأخوان. ثم رأوا بعد ذلك أنها أخطاء : فتقول الحاجة زينب :

«إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم أستقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا، ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » سورة فصلت الأيه (٣٠) فالذين تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بألا يخافوا ولا يحزنوا، أهؤلاء يخطىء صاحب المسيرة معهم إنهم رمز التصحيح لما وقع فى العالم الاسلامى، إنهم رمز اليقظة والحياة لمن أساءوا فى العالم الاسلامى . . إنهم الراية الناطقة سراً وعلناً ليلاً ونهاراً، أن لا إله إلا

اللــه، وحده لا شريــك له، محمــد عبده ورســوله»
وتوقفت الحاجة عن الكــلام لا لانقطاع الأفكار ولكن
لتأثرها بمسيرة الحركة ، حيــث غلبها البكاء، وبعد أن
تمسح عينيها تواصل حديثها :

« . . . ما أقوله ليس كلمات بل هى عقيدتى التى
تنطقنى بالكلمات، ماكان لحركة الإخوان المسلمين أن
تعيش هــذه الفترة من الزمــن بعد استشهــاد المؤسس
الأول والرجل الذى نرجوا الله أن يعوضنا فيه خيراً-
حسن البــنا- لولا أنها كانت فعــلاً دعوة ولأن حسن
البنا كان مجــرداً من بشريته يوم قرر تأسيــسها، والله
سبحــانه وتعالى ألــهم حسن البــنا «تأسيس الجــماعة
والسير بها، ثــم منحه الشهادة من أجلهــا، وأستشهد
بعده رجال كثــيرون ونساء كثيرات لأن النــساء اللائى
جَعَــنَ والإخوان فــى الســجون، وفــى المعــتقلات،
شهيــدات، وأبنائهن شــهداء أيضاً وإن كانــوا أحياء،
لأنهم يمسكون الراية بعد آبــائهم، لأنهم مدافعون عن

الدين، رافعوَن شعار « فما الحكم إلا لله . . » هذه هى دعوة الإخوان المسلمين، وهذه مسيرة رجالهم وشبابهم، أنهم الرمز الربانى فى هذا العالم الدنيوى، الذى يقول دائما: الاسلام عائد، الخلافة عائده، ورغم أننى متعبة لكن يثيرنى الحب وذكراه، والحب عندما يصدق يحيى الأموات . . »

* وصية الحاجة زينب للإخوان :

لقد قامت زينب الغزالى بأعمال جليلة ونحن الآن قد دونا جزءا منها، وبالتأكيد هناك أعمال أخرى لا نعلمها إما لأنها نسيتها أو حفظتها سراً ليعلمها الله وحده فقط، ورغم ما كل ماسبق، فإننى ودون أن أصف حبها للإخوال المسلمين،أسأل :هل تَجسّد هذا الحب فى مواقف أخرى؟وكنت قد علمت بوصية كتبتها للإخوان تنفذ بعد وفاتها، فسألتها: ماذا فى وصيتك للإخوان المسلمين ؟

اعتدلت فى جلستها، شربت قليلاً من الماء. ثم

نظرت إلىَ وقالت :

« أنا أوصيت بنفسى بأن تكون ملكا للإخوان المسلمين، وأوصيت بحياتى ووقتى وقراءاتى وصمتى ، فأنا كل للإخوان المسلمين وأعتقد ان كلّ من بايع أصحاب الدعوة، إنما هو قد باع نفسه وماله ومايملك، ثم هو ماذا يملك من الدنيا؟ يملك حطاماً زائلا أن وهبه لله سبحانه كان باقيا خالداً، وإذا استنفذه فى الدينا كان شيئا ضائعا، والعبد عندما يبيع نفسه لله، فقد أبقاها، وعندما يبيع ماله لله فقد أبقاه. وعندما يبيع وقته لله فقد أبقاه، وعندما يبيع لله كما هو محيط بحياته وبوجوده فقد أبقاه، «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » يحيون فيها حياة متكاملة، يشهدون فيها نور الحق مستجلياً عليهم، وهذا النور لا تساوى الدنيا كلها لحظة منه...» هذه هى نظرة الحاجة زينب الغزالى للدنيا، وهى تقيمها كما يقيمها كل أهل الخير والصلاح،

تتكلم وهى زاهدة عنها، وقلبـها مملوء بكيفية البحث عن البقاء الأزلـى وهى هنا توضح مسألة الـبيع التى تعلم عنها كثيرا، وقليل منا من يصدق فى عمله حين يمارسها، والحقيقة أن الذى يـعايش الحاجة زينب عن قرب يحـس ذلك فى كل سلـوكها، إنها كـريمة إلى درجة تجعـل الإنسان يفكر أحـياناً كيف ستـواجه كل هذه النفـقات، وهى بذلك تعـد شخصية غريـبة عن زمانهـا هذا، حيث قتـلت المدنيـة فينا روح الضـيافة والكرم وأطـفأت نيران طهى الـطعام للزائريـن، لكن بالنسبة للحاجة زينب فـالعرق هنا دساس فقد كسبت هذا من عائلتها، وزادها الجهـاد المستمر علوا، ولهذا من الطبيعى ، أن تعتبر ما تقوم به أمراً عادياً من أجل الدعوة، وحين لاحظت فى إجابتـها عمومية حاولت أن أعرف محتوى الـوصية فسألتها: مـاذا فى الوصية تحديداً؟ قالت الحاجة زينب بنبرة عالية:

« أما أنا لا أعلم من الذى وهب للأخوان المسلمين

شيئا مما يملك، ولكنني أعتقد أن كل أخ مسلم عندما يبايع المرشد بيعة صادقة آمنة ، فإنه بذلك يسلم نفسه وماله لله تبارك وتعالى، وعليه أن لا يذكر ذلك، لهذا أنا لا أقول إني وهبت، ولكن أقول أن الله سبحانه وهبني عقلاً وفكراً، عشت بهما في محيط الدعوة الاسلامية يوم أن أسست دعوة السيدات المسلمات، ثم انتقلت منها الى دعوة الأخوان المسلمين، علما بأن دعوة السيدات المسلمات متصلة وموثوقة بدعوة الإخوان المسلمين، لذلك حلت حكومة عبد الناصر جماعة السيدات المسلمات بحل الإخوان، لكن أعلامها بقيت معقوده عند الله تبارك وتعالى، ونحن لا نعتقد أن الجاهلين لهم كلمة عند المؤمنين، إن المؤمنين بيعتهم خالصه لله.. لهذا لا أقول وهبت للإخوان المسلمين، إنما أقول لك- إنه ومنذ أن كان عمري ١٨ سنة حيث أسست السيدات المسلمات، قد بعت نفسي وما أملك ، فكلي لله،

والإخوان المسلمين هم الرمـز الإلهى المبارك فى عالمى الإسلامـى الذى علـى كل مسـلم أن يـهب له مـاله ووجوده وكل مايملك ٠٠٠».

مرة ثانية نـسأل، وتصر الحاجة زينب عـلى إعطاء المعنـى العام للـوصية، دون الدخول فـى تفصيـلاتها وكأنهـا تعلن وتـخفى الأمر فـى نفس الوقـت،فمن ناحية العلن، تبلغنـا بأنها أوصت للإخوان المسلمين، ولكى تجعل هذا سراً فهى لا تحدده وهى بذلك تتفادى إظهار ماوصت به، وكما أعرفـه أن الطابق الثانى من بيتها قد أوصت به لـلإخوان وبما أن الحاجة لا تعطى الاجابات إلا وفق ماتريده ،فعـلينا أن نحترم أراءها، وأن نستحى من سؤالها فـى هذا الموضوع ثانية، لكن علينا أن نـعرف موقف الأقارب من حولها فـيما تقوم به، لذلك سألتها: هل اعترض أحد من الأقارب عن وصيـتك للإخوان المـسلمـين؟ تجيبـنا الحاجة زيـنب بعبارات إيمانية تحددها مسار فهـمها للدين وعملها من

أجله فتقول :

« المعترضون لا ينظر اليهم فاعل الخير، لأن فاعل الخير ينظر فى محيط عبوديته لله، لا فى محيط من يغضب من البشر ومن يرضى، ثم من الذى يستطيع أن يعطى للإخوان؟ لا أعتقد أن هناك من يستطيع أن يعطيهم شيئاً، لأنه عندما يدخل جماعة الإخوان المسلمين، ويقسم يمين الولاء مع مرشدها العام، فإنه يكون قد ملك دعوة فى الدنيا من أجل الآخرة ثم ماذا يمكن أن يعطى الانسان للإخوان يعطيهم روحه هى ملك لله سبحانه، يعطيهم ماله هو أيضا ملك لله، ومادام الأمر كذلك فعليه أن يقول أنه يعطى لله وليس للإخوان ... ».

هذه علاقة الحاجة زينب بالإخوان، وهى الجزء الأكبر فى حياتها، وننتقل إلى نوع آخر من العلاقة وهى علاقتها بالحكام، ثم العلماء، فكيف كانت هذه العلاقة داخل مصر وخارجها؟ سنعرف هذا من خلال

ما تسترجعه الحاجة زينب من ذكريات، وهى عبارة عن مواقف لم تمح من الذاكرة ٠

* الملك عبد العزيز ودعوة إلى القصر

كانت الحاجة فى الفصل الثالث قد تكلمت عن علاقة مركز السيدات المسلمات وعلاقتة بالملك فاروق، واختلافها هى بالذات معه، وهو اختلاف مبعثه تغير الملك، لكنها حين تجد ملكا يدعو إلى الخير، فإنها لا تنسى مواقفه،ومن هؤلاء الملك عبد العزيز،ملك العربية السعودية، الذى كتب لإبنة سعود فى أول حج لزينب الغزالى يقول: فى حج هذا العام فتاة تدعى الأستاذة زينب الغزالى- وهى فتاة فى العشرين من عمرها- وقد أسست أول دعوة إسلامية للمرأة المسلمة لتعود بها إلى ما كانت عليه نساء السلف الصالح٠٠ فادعوها لتناول العشاء فى القصر معكم، وخصص لها عربة لتنقلاتها، وادعها إلى دار الضيافة٠٠٠»٠

وتتوقف الحاجة بعد أن تنهى نص كلمة الملك عبد العزيز، وأريد معرفة ماذا حدث بعد ذلك فأسألها: ماذا حدث بعد أن تلقى الأمير سعود خطاب والده؟!

تقول الحاجة زينب : « ... بعث ولى العهد سعود الى بوزير الإعلام انذاك عبد الله أبو الخير، وهو أيضا السكرتير الخاص للملك، وصار بعذ ذلك سكرتير الملك سعود، فجاء عبد الله أبو الخيروقدم لى ساعة هدية من الملك، وحدد لى موعداً للقاء ولى العهد، فالتقيت بولى العهد - سعود- نيابه عن أبيه مع أعز بناتى فى السيدات المسلمات ضحى عاصم، وكان اللقاء حول سياسة الدولة الإسلامية وكان أملنا معقوداً فى هذا اللقاء على قيادة السعودية للعالم كنا قادته سابقاً من المدينة المنورة ومكة المكرمة، وكان القاء أيضا حول البحث عن كيفية العودة إلى المكانة الأولى التى من خلالها تمكن المسلمون من فتح العالم ،وحكم الإسلام للعالم كله... ».

إننى وأنا أتابع مثل هذا اللقاء للشابة زينب الغزالى مع ولى العهد- سعود- وأقارن بينه وبين زماننا هذا ولقاءاتنا أحس فعلاً بأنه لكل زمن أهله- رجاله ونساءه - ولنطرح السؤال التالى : اذا كان الملك عبد العزيز- رحمه الله- كان يفكر أنذاك فى أن يعم الإسلام ويحكم كل الدنيا فما هو تفكير قادة العالم الإسلامى الآن؟

وللعلم فإن تحمس زينب الغزالى وجماعتها لكل فعل سياسى خَيِّرٍ بغض النظر عن الجهة التى يصدر منها، جعلها تواجه عدة مشكلات، أكثرها وضوحا هو سجنها فى عهد جمال عبد الناصر، وبتعبية عداءها للثورة فهل كانت ضد الثورة ؟

* بيتها داراً للدعوة الإسلامية :

تقول الحاجة زينب: « لم أكن ضد الثورة كعمل تغييرى، اعتقدنا بأنه سيسير بمصر نحو الأحسن، وإنما كنا ضد عناصر الثورة لأنهم انقضوا عهدهم،

وأظهروا عداءهم للإسلام، وللعلم فقد طلب الرئيس جمال عبد الناصر مقابلتى فرفضت لأننى كنت مؤمنه بأنه جاء الى السلطة بإيعاز من أمريكا، وقد اتضح هذا فيما بعد اتفاقه مع كل من روسيا وأمريكا اتفاقا كلياً، وأظهرت الأيام إنه عميل للغرب، وعميل رخيص جداً، ومن أراد أن يتأكد من ذلك فعليه أن يحصى ثروة من جاءوا بعده، ثروة الحاكمين فى عهده إلى الآن قبل مجيئهم الى الحكم وبعد أن تركوه......».

وبالتأكيد فإن القراء يعرفون الثمن الذى دفعته زينب الغزالى نتيجة لموقفها، ليست هى فقط ولكن قيادات عديدة من الإخوان وغير الإخوان، لكن الغريب فى الأمر أن عدد أتباعهم زاد، وصار كل جيل يلقن الجيل الآتى بعده دروس الجهاد، وهذا طبيعى لكون نشاط قيادات الإخوان لم يتوقف، وان كان قد نقص مقارنة مع السنوات الأولى التى ظهروا

فيها، ومن بين الذين لم يتوقفوا عن النشاط إلى الآن (١٩٩٦) الحاجة زينب الغزالى، فكيف ذلك :

تقول الحاجة زينب: « بعد خروجى من السجن اقتصر نشاطى على إلقاء المحاضرات فى بيتى وفى بعض المساجد الكبيرة، ثم منعت الحكومة الاجتماعات التى كنت أعقدها فى المسجد وبذلك منعتنى من الالتقاء بالجمهور، واقتصر نشاطى على اجتماع أعقده فى بيتى مرة فى الأسبوع، ويحضره مابين ٢٠-٣٠ سيدة من عليّة المثقفات، والمهتمات بدعوتى الدينة، ومازلت أمارس نشاط الدعوة من خلال القلم والمقابلات الصحفية التى تطلب منى، والحقيقة أن عملى السابق أعطى بعض ثماره ولا يمر شهر إلا وأعطى مقابلة صحفية لعدة صحف أجنبية فى كل أنحاء العالم .... ».

إذن هناك أوجه متعددة للنشاط الدعوى، وتأخذن فى كل مرحلة حياتيه أسلوباً جديداً سواء أكان

موجوداً فى السابق، أم يظهر نتيجة للمرحلة التى تمر بها الدعوة، لكن بعيداً عن أوجه النشاط الدعوي للسيدة زينب الغزالى، سألتها هل تغير مكان النشاط لديك عطَّل عملك للدعوة ؟

تبتسم ثم تجيبنى : « ... دخولى السجن وسع عمل السيدات المسلمات،وجعل العالم يعرف زينب الغزالى- أي صرت شخصية عالمية، والفرق بين الماضى والحاضر هو أنه فى الماضى كانت زينب الغزالى بتتكلم من مركز السيدات المسلمات أما الآن فهى تتكلم من بيتها....».

إن تغيير المكان قد يؤثر إلى حد ما على نشاط الإنسان ، لكن بالنسبة لزينب الغزالى فهناك حالة للتكيف من الوضع الجديد، وأصبح بيتها هو مجال النشاط والدعوة وعدا كأنه داراً للدعوة الإسلامية فى مصر، وثبات الشخصية من أجل المبادىء التى تؤمن بها، لا يجعل الأخرين يحترمونها فقط، بل يدافعون

عنها، وتصبح قضيتها هى قضيتهم، ومادمنا نتناول علاقتها بالحكام، فإن الأمانة تقتضى ذكر موقف زعيم تال إحترام الكل، ولم يختلف حوله أثنان إنه الملك فيصل، ملك السعودية رحمه الله.

*** الملك فيصل : اهتمام خاص بزينب الغزالى:**

لا أحد فى العالم الاسلامى لا يحب الملك فيصل ذلك الرجل الذى حاول أن يعيد لأمته مجدها، رجل المواقف الثابتة، وبقدر ماهو معروف على مستوى القضايا العامة، فهو أيضا له العمل الصالح الذي لم ينقطع - رحمه الله- وزينب الغزالى تذكر فعله الجميل إذ ترجى جمال عبد الناصر إطلاق صراحها، وكان عبد الناصر - رحمه الله - يقول له: إنها فى بيتها، وحين أصبح محمد أنور السادات رئيسا حدد الملك فيصل طلبه، فأبلغه أنها فعلا فى السجن وسيطلق سراحها، وعند ذلك أمر الملك فيصل وزيره للمالية محمد سرور- وكانوا يسمونه الملك غير

المتوج- بـأن لا يعود حتى يقـابل زينب الغـزالى فى بيتهـا، وبالفعل لم يـعد حتى إتصل بـها وزارها فى بيتها وقد تأخر بسببه إذ أمر بالإفراج عنى صدر فى ٩ أغسطـس ١٩٧١، لكنها لم تـصل الى بيتـها إلا فى الثالثة صباحا فى اليوم العاشر من أغسطس ١٩٧١.

كانـت السيدة زيـنب ، وهى تحـدث عنه ، تعـيد علـى مسمعـى ذكريات المجد والـعزة للأمة، حـيث الانتماء ، والحب والإهـتمام الكبير ويبـدو أن العائلة المالكة السـعودية، حافظت من خلال المـلك فيصل، عن تلك العلاقة القديمة التى كانت تقيمها المملكة مع مـركز الـسـيدات المـسـلـمات مـن خـلال مواسـم الحج،ونهيب الإهتمام القـديم الذي تميز به الملك عبد العزيـز كل سنة، لـكن هل تتذكـر الحاجة شخـصية سياسية أخرى؟ وهكذا أسألها فتقول : نعم ... إنه رئيـس الجزائر هـوارى بومدين، فـما الموقـف الذى جمعهما ؟ لنتابع سوياً. . .

* هوارى بومدين : زعيم يقبل النقد

زارت الحاجة زينب الجزائر بعد خروجها من السجن بسنتين، وذلك للمشاركة فى الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى بمدينة تيزي وزو فى يوليو ١٩٩٣ ، وألقت محاضرة بعنوان« واقع المسلمين اليوم من شريعتهم(*)وتصادف بدء أشغال المؤتمر مع نشاط الرئيس بومدين حول الثورة الزراعية، فاحتجت الحاجة زينب على عدم اهتمامه بحضور العلماء بقدر

(*) ألقيت تلك المحاضرة فى الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى بمدينة تيزى وزو على بعد ١١٠ كم من الجزائر العاصمة، وذلك فى عهد الرئيس الراحل هوارى بومدين، ووزير الشئون الدينية الراحل، مولود قاسم نايت بلقاسم، وعقب عن الحاجة زينب فى تلك المحاضرة كل من : د. مهدى بن عبود، وأدريس الكتاني، أ. فاطمة الجامعي الحبابي، وعبد الرحمن الكتاني، محمد عزيز الحبابى ، وجميع هؤلاء من المغرب، موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامى الأعلى- لبنانو إ.د. حسين القوتلى (لبنان) الشيخ محمد الغزالى « مصر» والدكتور عبد المنعم خلاف والدكتور يحيى حامد هويدى والدكتور توفيق الشاوى ، وكل هؤلاء من مصر.

اهتمامـه بأعماله الميـدانية، وكان قد حضـر فى اليوم الأول وشارك، وانـتقدتـه الأستاذة زيـنب الغـزالى، فتقبل نقدها بصدر رحب، وحـين سألتها عن اختلافها معـه هل هـو بسـبب غيـابه عـن المؤتمـر بعـد بدء الأشتغال أم لأسبـاب أخرى، قالـــت: « خلافى مع بومدين، هو أنه كان في نظرى - يسارياً فى سياسته، وأنا سمسنسة فى سياسـتى وفى المؤتمر الذى حضرته ألقى خطابا، فعقبت على كلمته، وقلت له فيما أذكر ان الجزائر إسلاميـة، وستظل إسلامية ولم تـكن يوماً اشتراكية، والاشتـراكية هى كالقثاء الذى يرمـيه البحر على الساحـل، فلا يستفاد به، .. فَهـل لَّك أن تعود إلى كتاب الله فتقرأه من جديد، والى سنة رسول الله - صلى الله عـليه وآله وسلم - فتقرأهـا ببحث ودقة حتى تزيد فهماً واتعاظاً، هلَ لّك أن تعود إلى القرآن تقرأه وتراجع نفسك معـه...» تصمت الحاجة قليلا ثم تواصل حديثها.

« . . . لقد كـان خطابى يـومها قويـاً قادراً، ومع ذلك فقد قام بومدين رحمه الله- فعلق على كلمتى، وقال: إن كلمـات الحاجة زينب، كلمات نـدية وقوية وأمينة وأدعو الله سبحانه أن أكون كذلك. . إنه زعيم يقبل النقد. . . . ».

إن مثل هذه النقاشات التـى كانت تقع فى الجزائر بين الـعلمـاء من مخـتلف الـدول الإسلاميـة، وبين المسئولين الجزائريين، وعـلى رأسهم هوارى بومدين، تبين المـستوى الذى وصـلته الجزائـر، فقد كانـت لها التجربة الـرائدة فى طرح أمهات القضايـا التى تخص العـالم الإسلامى، ورأيـنا رد الرئيـس بومدين عـلى الحاجـة زينب ، ولذلـك يذهب بعـض المنظِّريـن فى العالم الإسلامى الى القول بأن الجزائر تعد هى الدولة الوحيدة فى العالم الإسلامى التى نظرت وعملت من النـاحيـة المؤسـساتيـه علـى عودة بـعض الحـركات الإسلامية للظهور، ونشوء حركات جديدة، وذلك بما

كانت تبذلـه من أجل تجميع العالـم الإسلامى كصف من خلال ملتقيات الفكـر الإسلامى التى كانت تعقد كل سنة، وتجـمع بين كل تيارات العـالم الإسلامى، والواقع أن تلك الملتقيـات هى التى ساعدت على نمو الوعى وزيادته، وكان من الطـبيعى أن يصبح الإسلام فى الجزائر دستور دولة، ويبـــدو أن هذا النـــوع من التفكير ساد عند بعض زعمـــاء العلمـــاء منهم الرئيس الـراحـــل ضياء الحق(*) رئيس باكـستان الذى كانت له علاقة خاصة بـالحاجة زينب الغزالى، فما هى نوعية تلك العلاقة؟

* ضياء الحق : أمى زينب الغزالى :

تعددت زيارات الحـاجة زينب الى باكسـتان، فقد

(*) محمد ضيـاء الحق رئيس باكستان (١٩٢٤-١٩٨٨) عـزل الرئيس علـى بوتو وأعدمـه فى ١٩٧٧، رغم منـاشدة كثيـر من المنظـمات والدول ، ومات ضياء الحق فى حادث تحطم طائرة، وتتهم الأوساط الإسلامية الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الحادث .

زارتها سبع مـرات- فيما تذكر- ومنها كـانت تتوجه الى أفغانـستان لتعيـش مع المجاهدين فى خـنادقهم، وتقول الحاجة على مثـل هذه الزيارات: « كنت انزل فى العاصمة كابول ثم أذهب منها الى بيشاور، فأقيم سته أيام وأحـيانا أكثر أو أقل، وأزور المجـاهدين فى الميـدان،» وتتـوقف لحـظة حـزن علـى ما يـقع فـى أفغانـستان الآن، لتـقول بعدهـا: كان هذا فى تـلك الأيام الرائعـة من حياة الأمة، أيام الجـهاد أنّما الأن فقد إنتكس أولئك المجاهدين، وتحولوا الى شيع وفرق تقاتل بعضها بعضا...».

لكن هل تـلك الزيارات هى التـى جعلتها تـقابل ضيـاء الحق، الأمر ليـس كذلك بالـطبع، فقـد كان الرئيس محمد ضياء الحـق يوجه لها دعوات خاصة، تقول الحاجة عن تلـك الزيارات:« .. زرت باكستان أيام حكم محمد ضيـاء الحق، وكان كل مرة يدعونى الـى قصـره وأتـنـاول معـه الـعـشاء أو الـغـذاء أو

الإفطار، ونتكلم فى شؤون المسلمين، وكانت تعجبه أرائى أو يجاملنى فى ذلك، وكان يدعونى دائما ويقول أنت أمى، وفى رأيى فقد كان رجلاً عظيما، قتلته امريكا، انتقاما من المسلمين، وعدوانا على الإسلام» . تتوقف الحاجه زينب لحظات لأن الدموع تسبقها، وبحماس وحزن تواصل حديثها: « . . إن ضياء الحق كان رجلا عظيما، أراد أن يقيم الشريعة عملياً وأن ينفذ أحكام القرآن عمليا . . كان بصدق وأمانه يريد أن يعيد القرآن العظيم بمنزلته الرفيعة، والسنة بمكانتها العاليه، سعى من أجل أن يكون المسلمون أمة ممتلثة بالشريعة، . . . لذلك انتقل الى ربه شهيداً، لأن أمريكا أدركت أنه يريد اعادة الخلافة الإسلامية، وإعاده نظام الحكم إلى الحياة العملية الإسلامية . . . هذا هو ضياء الحق إنه فعلاً - رجل عظيم . . . » .

كلام الأستاذة زينب الغزالى عن الرئيس ضياء

الحق لا يخرج عن السياق العام لطبيعة التقييم الذى سارت عليه منذ أن بدأت حياتها الدعوية، وقد يختلف مهما الأخرون سواء السياسيين أو رجال العلم، لكن هذا الاختلاف لن يكون كبيرا، فهى تتكلم عن الشخصيات السياسية والعلمية بما تعرف والحكم هنا حكم عن المعطيات المتوفرة أمامها، ساعية لارضاء ربها من خلال حكمها عن الناس والأحداث، وهى كعادتها دائماً، تحدد موقفها بناء على مايقوم به الآخرون من سلوك،محاولة أن تخرج حكمها من دائرة الذاتية الضيقة الى سعة الدين، وحتى نظرتها إلى جماعة الإخوان لا تخرج عن هذا الطريق، وهى لا تدعى بأنها دائماً على حق، بل على أستعداد أن يراجعها صاحب الحجة فيما تقول، ضالتها الحقيقية تبحث عنها، وليس مهماً مما تأتى صغيراً أو كبيراً المهم أن يكون متمكناً وواعيا لدوره ورسالته .

من ناحية أخرى فإن الحاجة لا تفى ما تقوم به إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك، وكأن ما تقوم به لصالح الدعوة، فمثلاً هى بايعت الإمام البنا سراً ولم تعلن ذلك لمن حولها، ولكن لم تخف الأمر عن زوجها، والآن. ورغم ما يواجهه الإخوان تعلن صراحة عن إنتمائها، بل ودفاعها المستميت عن هذا الإنتماء، لذلك قالت لى حين سألتها مرة عن موقعها فى صفوف الدعوة: « يا أبنتى ، بعد خروجى من السجن أصبح نشاطى ظاهرا وهو يتفق ويتحد مع نشاط الإخوان المسلمين، ذلك أننى سجنت لنشاطى فى دعوة الإخوان المسلمين، وأعتبر نفسى الأن جندية من جنود الدعوة فى صفوفهم، وأعتقد أن للإخوان الآن فى كل أنحاء العالم مراكزهم الدعوية التى تسعى إلى حكم العالم من جديد بالكتاب والسنة، وأنا فى ذلك الركب الآن، وأعتقد أننى لست فى مؤخرته ولكن فى مقدمته ... ».

هكذا ترى الحاجة زينب موقعها فى صف الدعوة، وتبنى مواقفـها الرافضة للأنظمة أو للأفـكار الفاسدة على مـدى فهمها لدورهـا الرسالي وحين كـبرت فى السن، وأبعدت مـن النشاط صارت تعبر عـن رفضها للواقع الـفاسد بمواقفهـا الشخصية وذلـك من خلال المقابلات الصحفية، وفى ندواتها البيتية غير أن هناك أمراً لـم تذكـره الحاجة زيـنب، وهـو تأثيـرها عـلى الأجيال، فـقد امتد نـشاطها لـكل مكان ومـن ذلك الجزائر، الـتى عرفتـها هى من خـلال علمائـها إبان الثـورة التحـريريـة وعرفهـا أبناء الجـزائر مـن خلال كتاباتها، ومشـــاركتهـا فى ملتقيات الفكر الإسلامى فى الجزائـر، هـذا التـــأثير نـسيته الحاجـة زينب ، وكان علـى أن أبحث عن ســـبيل لمعـــرفة تـلك العلاقة بـينها وبين دعاة الجـــزائر، وقد تطـــلب هذا وقتـا، لأنـها كل يوم تكشف عـن مكـونـاتها وما نســـيته،وفى احدى المرات تناول حديـثنا مالك

ابن بني رحمه(*) ومحمد بوسليمان(**) وحين سألت الحاجة عن كل منهما حاولت أن تستجمع قوتها وتبحث عنها في الذاكرة، وفي الأخير وجدتهما .

*** مالك بن نبي، وبوسليماني : زيارات مفاجئة**

سألت الحاجة كيف تعرفت الى المفكر مالك بن نبي ؟ أجابتني على الفور بقولها« التقيت بمالك بن

(*) مالك بني، مفكر جزايري مهندس في الكهرباء والالكترونيات درس بفرنسا، وكتب بالفرنسية، ثم لجأ الى مصر، نظرا لمواقفه السياسة وتميز بكتابات المتميزه عن الحضارة، ترجم له بعض كتبه الدكتور عبد الصبور شاهين وله تلاميذ في الجزائر وعمل على تعميق الاسلام في الجزائر، وتحظى كتاباته باهتمام كبير في العالم الاسلامي الى الأن توفي في ١٩٧٣ .

(**) محمد بوسلماني، رئيس جمعية الإصلاح والارشاد سابقا أختطف في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٣ ثم وجد بعد ٥٦ يوما مقتولا، وتميز بنضوج أفكاره، ومن بأسلوبه المتميز في الدعوة ويبلغ عدد أفراد الجمعية التي كان يقودها ٢٠٠ ألف عضو (رجال ونساء)(الاغلبيه نساء) وقد عثر عليه يوم ٢١ يناير ١٩٩٤، ودفن بتاريخ ١٩٩٤/١/٣٠، وشارك في جنازته أكثر من ٢٥٠ الف مودع .

نبى أول مرة هنا فى مصـر، وذلك إبان ثورة التحرير وقد زارنى فـى بيتى، وأعتقـد أنه كان برفقه الـشيخ الابراهـيمي، وفى ذلـك الوقت الـتقيـت بكثيـر من الشباب الجزائرى الذى كان يلجأ الى مصر، هروبا من الظلم والإحتلال أمثال« أحمد بن بله» وفى لقائى مع مالك بـن نبى اتضح لى عـمق تفكيره، وقـدره على طرح الأفكار الحضارية المغـيرة. . . » لكن هل تعرف إليـها شبـاب فى الجيل الجـديد لتـدع الحاجة زيـنب تتحدث للقارىء:

« كنت على معرفة وعلاقة بالـشيخ الشهيد محمد بوسليمانى الذى نحتسبه عند الله سبحانه وتعالى فقد عرفته بعد أن دعيت إلى الجـزائر، وزرانى بعد إلقائى محاضرتى الى الفندق، وسألـنى أن أجتمع به وينخبه من إخوانه ، بعيداً عن الناس فـالتقيت معهم، وكانوا فيـما أظن ستـه أفراد، وتكلـمنا عن دعـوة الإخوان المسلمين ومـبادىء الجماعة وعن أسباب سـجنى وعن

أهداف الإخوان المسلمين فى العالم الاسلامى ودامت هذه اللـقاءات أسبوعاً، وأفـهمتهـم أن الغاية العـليا للإخوان هى إعادة الإسلام الى الحكم، وريادة العالم إسلامية وكانت اللقاءات تتطرق إلى أبواب كثيرة مثل الاقتـصاد الاسلامـى والمشاريـع الإسلاميـة والحدود وأصول الحكم فـى الدولة الاسلامية التـى عاشت فى حضن الـرسول صلى الله عـليه وآله وسلـم، ثم فى أحضان الخلفاء الراشدين من بعده، ثم ساد الانحلال مرة أخرى حتى صرنا نحكم بـأمريكا والغرب عموماً ونحكم بغيـر كتابنا، وبغير رجالنـا، لذلك صار من الضرورى الجـهاد والبيعـة الصادقة الـى أن نموت فى سبيل اللـه، والموت فى سبيله أغلى أمانـينا، وبذلك تعود الدولة المسلمة الحاكمة بالقرآن والسنة . . » .

وهل العلاقة انـتهت بهذا اللقاء ؟ أجابـتنى الحاجة بقولها : بل على العكس من ذلك فقد تواصلت تلك العالقـة وزارنى مع خمسة مـن رفقائه، وتناقـشنا فى

كيفية انشاء فرع للإخوان المسلمين فى الجزائروكان رحمه الله على وعى تام بخطورة المرحلة وواضح إلتزامة الدينى وتمكنه العقائدى ٠٠٠».

تناولته على طول هذا الفصل العلاقات المتعددة للحاجة زينب، فمن رجل الشارع الى العلماء ، ومن عامة الشعب الى ملوك ورؤساء الموقفو دائم واحد، والعلاقة تتغير أو تثبت بناء على موقفا لأخرين من مسألة الدين، وهذا يعنى أن الحب فى الله والكرة أيضا فى الله، محاوله إبعاد النفس عن الهوى، وقبل أن نختتم لقاءنا بالحاجة زينب على الورق، هناك مسألتان رأيت من الضرورى طرحهما عليها الحاجة زينب، تتعلق الأول بتفسيرها للقرآن، والثانى بخليفتها ستتناول كل مسألة على حدة .

*** عشقت القرآن حتى عانقته**

حين كنت أجمع المادة السابقة للقارىء أهدتنى الحاجة كتابها الجديد، وهو تفسير القرآن

الكريم(*) ووجدتها فرصة لإطالة الحديث معها، فسألتها أستاذتنا الفاضلة: كيف جاء تفسيرك للقرآن نظرت إليّ وكأن عيناها تقولان أنت لا تتركى لى فرصة للراحة أبدا منذ أن بدأنا هذا اللقاء على طول ١٤ شهرا، ومدت كأنها تتذكر أمرا ما ثم قالت :

« أنا أحببت القرآن حتى عشته، فلما عشته أحببت أن أدندن به لمن أحب، قد دندنت بعض دندنة المفسرين، ولا أقول إنى مفسره، ولكن أقول : أننى محبة للقرآن، عاشقة له، والعاشق يدندن لمن يحب، والعاشق يحكى لمن يحب، والعاشق يجالس من يحب، والعاشق يعانق من أحب ،فعانقت القرآن وعشقته، وتحدث به وله فى جموع الملايين من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وعشت

(*) عنوانه : نظرات فى كتاب الله« صدر المجلد الأول منه عن دار الشروق فى نهاية ١٩٩٤ راجعه وقدم له : د. عبد الحى الفرماوى - أستاذ التفسير بجامعة الأزهر، عدد صفحاته ٧١١ صفحة، وسيصدر الجزء الثانى المجلد الثانى قريبا بإذن الله تعالى.

أدندن به فى المساجد أكثر من ستين عاما - أى عمر الدعوة التى أسستها فى المساجد منذ ١٩٣٧ - وخلال هذه العقود من الزمن، ما عشقت غير الدعوة- بعد القرآن طبعاً- وماقبلت بغيرها، حتى رباط الزوجية كان تابعا لها، وكان توثيقى له ببقائى فى الدعوة، وهو المهر الذى طلبته، وإن كان الزوج المرحوم محمد سالم سالم قد أغدق الزوج الكريم على زوجته، بما لا أستطيع أن أشكره، لأنه كان يعتقد أنى لأ أوجه ما أملك الا لله رب العالمين، وتلك منة من الله لا أستطيع أشكر الله عليها مهما فعلت، ولا أن أفى له بالحمد الذى يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

*** فى كل دولة إسلامية زهرة :**

المسألة الثانية التى ننهى بها الحديث مع الحاجة زينب، هى سؤالنا عن النموذج السنوى الذى ترى أنه بإمكانه أن يقود المسيرة بعدها، تضحك الحاجة قبل أن تجيبنى وعلامات الرضا بادية عليها مما فعلت،

وتقول لى كلامـا يعد الإطمئنان الى نـفسى وربما الى غيرى مهما نلاقى كل يوم من محن.

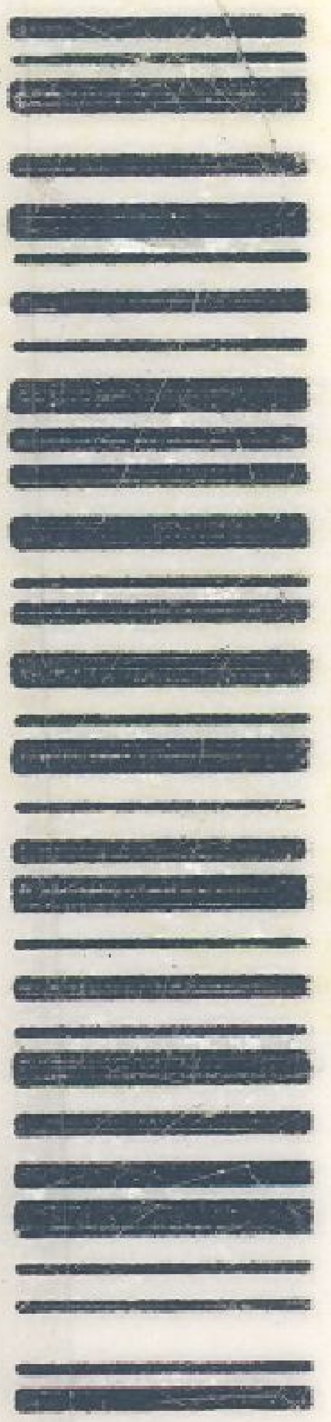
لا أعتـقد أن هـناك أخـوات عدة يمـكن أن يـكن قيادات فى العـمل الدعوى وليس هذا الأمر مـقتصرا على بلد بـعينه، ولكن فى كل دولـة من دول العالم الاسلامى، هناك زهرة من زهرات الأخوات المسلمات وان كان يـسعدنـى أكثـر أن أرى زهرات فى صـفى ويقـمن عنى وأنـا على قـيد الحيـاة ، لأطمئن عـلى مسيرة الدعوة، سواء بعد زيـنب الغزالى أو معها، إن للنساء نصـيب هام وكبير فى مسيرة الجمـاعة المسلمة لإعادة الخلافة الاسلامية الى العالم الاسلامى».

هـل بعـد هذا الـقول قـول آخـر؟ هنـا فى هـذه اللحظات يتعذر الشرح، وتـنتهى العبارات، ولا يبقى منها الا أن من ترد فى الأخـوات أن تكن مثل الحاجة زينب الغزالـى أن تدندن بالقرآن وتعشقه، ثـم تعانقه وتبحث عن طريق الله دائماً، فهل هذا ممكن؟ صعب حقاً، لكنه ليس مستحيلاً.

شهرزاد العربى

زينب الغزالي

من البرنيطة إلي الحجاب





بيت الحكمة